قصص قصيرة

يسألونك عن الخوف
وقصص أخرى

فتحي سلامة



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٩

لعبة الكومى

كنت فى قريتنا آمس ...

كنت أحضر عرســا ..

قالوا : لقد تزوج ..

لم أجب ، وربما أجبت لا أدرى ، كنت مشغولا بالتهــام صدر دجاجة قدمتها أمى لى وهى تبكى .

قالوا : هى كذلك دائما حينما تراك ..

لقد اضطربت الأمور فى عقلى ، عادت موجة التوتر فى مؤخرة الرأس والألم الحاد الى عينى اليسرى ، لم أعد ذلك الانســان الأول النقى ، الخارج من حمام الطهر .

بكيت ، واحتضنت العروس ، كانت أختى ، شعرت بارتباك آتيت على ما فى الطبق من لحــوم .

لا .. لم أكن فى قريتنـــا أمس .. كنت فى بار النهضة ، وشربت زجاجة بيرة تقيأت بعدها ، خرجت الى الشارع أبحث عن امرأة ، قالوا : لقد رحلت ..

لم أجب ، نظرت الى الصغيرة التى كانت تقف هناك فى ركن الحجرة وقعت عينى على نبت الصدر ، استدارة فى المهد أعطت صـــدر الثوب ارتفاعا لم يكن معـــدا له من قبل ، قالت العجوز : لا تصلح لك ..

قالوا : هى كذلك دائما حينما يرغب أحدهم فى غيرها .

.. فكرت فى أن أعرض نفسى على طبيب ، لدى اعتقـــاد راسخ بأننى مختل العقل ، كثيرا ما تضـــطرب الأمور وتتذبذب الرؤية أمام عينى .. سأفعل ذلك بكل تأكيد يوما ما ..

احتضنت الفتاة وقذفت الى العجوز بنصف جنيه ، شعرت بارتباك .. اشبعت رغبتى ومضيت ..

وحينمـــا ذهبت الى قريتنـــا منذ .. لا أدرى أمس أم قبل ذلك ، كنت أحضر مأتما ، قالوا : مات

— من ؟

— من ؟

— كان فى العشرين أو يزيد قليلا ، كان يقرأ فى كتاب كل يوم، ويغنى فى المساء ، ويداعب العذارى ، كان ..

— من ؟

— كان مثل الأنبياء ، يجلس فى العصارى واضعا شال العمامة فوق كتفه ، مرسلا ضحكات رقراقة ..

— من ؟

— كان مثلك يحلم ، كان يحلم بدار فوق ربوة فى الخلاء ، وعروس كان قد حددها كان .. ولكن ..

— ولكن ... ؟ !

— كان .. كان مات ..

وأقيم جناز ، وولوت خمس نساء ، وبعدها سألت احداهن جارتهـــا ؟

— أى دار بهـا الخبيز ؟

وضعوا أمامى سمكا وأرزا ، رفع خالى طرف كمه ودس أطراف أصابعه فى جوف سمكة وقال :

— خـذ ..

وأخذت وأكلت سمكا وأرزا حتى شبعت . وتحدث بعض الناس فى كرامات الأولياء ، لم أسمع جيدا ، كنت قد شبعت ..

كنت فى قريتنا أمس ، لا يهم أمس أم قبل أمس ، كنت فى قريتنا وتصايح من حولى شباب ، قالوا :

— غدا الاربعـاء .

— وماذا يهم ؟

— ماذا يهم !! ، هو حضرى من المدينة ، لا يهمه الأربعاء ففى البندر كل يوم هو يوم الأربعـاء ..

— ماذا ؟

— لا تقل شيئا ، أنت لا تدرى خبز الأربعاء ، لحوم الأربعاء ونساء الأربعـاء وسوق الأربعاء ..

وضحكوا ، وضحكت ، كانت نوبة الصداع قد اشتدت ومال رأسى الى الأمام ، كنت أود أن أقول شيئا ولكن صاح القوم:

— سرقوا المواشى فى عز النهـار ..

وقفت أمى تولول مثل ندابات زينهم ...

— ما الخبر يا ولية ؟

قال العارفون :

— مطلوب اربعين جنيها ، فدية وبعدها تعود المواشى .

أخذت كوب اللبن وشربته ، كان حارا دافئا حلو المذاق ، ولعقت الكوب ، كان طفل بجوارى يصرخ ، ركلته البقرة فى بطنه ، بعدها تمدد فى هدوء ..

وجاء المســاء ، والمساء فى قريتنا صمت وظلام ، تجمعنا حول لمبة جاز وورق اللعب ، قال يرعى :

— وزع •

— لا ••

— بل يجب ، أنت ضيف ••

أخــذت كومة الأوراق المتآكلة ونثرتها فــوق الرءوس ، تطــايرت فى تراقص ، اختطف كل منهم بعضا منه ، حملقوا فى الأوراق ، هتف شلبى صــارخا :

— كومى !

وجم الآخرون ، وضعوا ما معهم من أوراق ، اختفت البسمة التى لم تولد بعد ، هلل شلبى ضاحكا وجمع الأوراق فى طرف جلبابه وخرج •••

انتابنى الاحساس بالضعف ، قررت أن أذهب الى الطبيب فور عودتى ، لن أتحمل مرة أخرى هذا الدوار ، اننى أعلم جيدا انهم لن يترفقوا بى ، وسيفعلون كل شىء فى سبيل تعذيبى ، ولكن يجب أن أتحمل فى سبيل شفائى ، يجب أن افهم جيدا كل ما يدور حولى وأن أشارك الناس أفكارهم ، يجب أن أذهب الى الطبيب •••

سألتهم وهم واجمون : بعد أن خطف شلبى ورقة الكومى، لماذا مات ؟

— لأنه ..

وصمتوا جميعا ، رأسى تهتز فى عنف ، خرج منها قطار بدون عربات ، ... لماذا مات ؟

— فى الظهيرة قال : أشعر بألم فى بطنى .

— أعطاه الشيخ مرزوق شراب الكمون .

— شراب الكمون يفيد فى جميع الحـالات ، الناس جميعـا يستعملونه انه مفيد جدا ..

— اشرب يا رجل ، ليس مرا الى هذه الدرجة ، بعد سـاعة ستكون مثل الحصان ، اشرب يا رجل بالشفاء ..

— وبعد سـاعة ؟

— كان قد مات .. مثل الحصـان ..

— ولكن ...

— لقد ارهقتنا بكل تلك الاسئلة ، ما الذى سيحدث ؟

— فقط أريد أن أعرف .

— ســرق ..

— ولكن ...

— فرق ..

ناولنى ورق اللعب مرة أخرى ، حواف الورق متسخة قذرة ، عقلى لا يعى اللعبة تماما ، العب .. ها هو الولد ، عريس اللعبة يأكل كل الأوراق ، مدهش ، بضربة واحدة يأخذ اللاعب كل أوراق الأرض ، هذا هو الشايب ، العجوز ، لا شىء ياشخنا العجوز ، تمدد على مستطيلات الحصير فى هدوء ، آه هاهو المنقذ ، الكومى ، انه ليس مثل الأوراق ، انه المتفرد ، من معه الكومى ؟ لا أحد يرد ، الذى يملك الكومى لا يرد ، يستخدمه فقط ..

— ودفعت أمى الفدية ؟

قهقة الشباب من حولى : وصاح أحدهم ولعن الدنيا ثم قذف بصورة فتاة جميلة ، الصورة تبتسم رغم عنف الحركة وتستلقى بجوار الشايب ..

— أنت لا تدرى من أمور الدنيا شيئا ، أنت فى قفص المدينة.

— وهل يمكن لأمك أن ترفض الدفع ؟

— ولكن هذا ابتزاز ، هذا ..

— تمهل يا أخى انظر الى الورق الذى فى يدك ..

— هاهو الكومى معك والأرض محصولها وفير .

نظرت الى الورقة المحظوظة ، مثل كل الورقات ، سبع

علامات حمراء ، موزعة على صفحات الورق المصـقول قديما ، مزقته قطعا صغيرة ...

(موجة الالم الحاد تعصر رأسى ، الضباب أمام عينى)

الصداع يهشم ما بقى من جدران عقلى ، اننى أتألم ألما حـادا ..

خرجت مهرولا ، رحت أقذف بقطع الكومى فى الحارات والأزقة ، لا .. لا يمكن لانسان فرد أن يملك وحده الكومى ، لابد من تمزيق كل هذه الأوراق التى تحمل السبع عـلامات الحمراء وتوزيعها على كل حارات قريتنا ، و ....

— من معه الكومى ؟

لا أحد يجيب . العيون تحاول أن تخترق الوجوه المتشابهة لكل الأوراق لكى تخمن .. من معه الكومى ؟

ذهبت الى قريتنا أمس ، واليوم ، ورأيت رجلا طويلا يرتدى ثوبا من صـوف الأغنام ويضع على صدره العديد من الأحجبة والسبح الزجاجية ، ويبتسم الرجل فى دهاء ويقول ..

(لم اعد احتمل ، قررت الذهاب الى الطبيب ..)

يناير ١٩٧١ (مجلة القصة) .

أبو الروس

فى الزمن المــاضى كان ـــ يكفى أن نقــول ذلك ـــ كان أبو الروس . فى الزمن الماضى كان أبو الروس .

سيد قومه ، الكلمة له أو عليه ، الأولاد يذهبون ويجيئون والرجال أيضا ، لا أحد يقول ، فى البداية تأتى كلمة ابو الروس وبعدها يقول كل الرجال ويردد كل الأولاد ما قاله أبو الروس .

(فى البدء كانت الكلمة ، وفى النهاية تكون)

— ماذا تنوى عمله اليوم ؟

— لا شىء ..

— لماذا ؟

— فقط .. لا جديد ..

— كنت فى الزمن الماضى لا تقول ذلك ؟

— كنت فى الزمن الماضى لا تســألنى ..

— لم أسأل الا حينما توقفت عن الكلام .

— هــذا ليس صــحيحا .

— كيف ؟

— لا أدرى !!

— وهل ستظل صــامتا ؟

— .....

فى النهاية تكون الكلمة عارا ، وصمة عار تلصق باللسان الذى لا يقوى على الصمت ولكن الذى لا يتكلم يكسب الذهب، لأن الكلمة صنعت من الفضة الزائفة ..

وقد تحدث الرجل الذى ضاجع زوجته ولم يكسب شيئا بينما خسر الكثير مما كان يملك ..

.. فى جزيرتنا يكسب الأولاد رزق الأسرة ويقف الرجال على نواصى الحارات ، وفى بعض الأمسيات يضحكون ..

والحمير أيضا تأتى بالقوت . يدور الحمار ناقلا الطمى من الحقول الى مصــانع الطوب طول اليوم ، ويجرى كل ولد خلف حماره ، وفى آخر النهار يكون المحصول وفيرا .. عمائر

جديدة فى المدينة وقروش معدنيـة فى أيدى الأولاد يعطونهـا لأمهـاتهم ...

أبو الروس كان فى الزمن الماضى سعيدا لأنه فكر فى بيع التراب ، يومها قال النـاس :

— هذا هو الرجل ..

وتعجبوا كثيرا ، بل أن بعضهم انبهر بذكائه وأخذوا يرددون فى ذهول .. المنقذ .. الرسول ..

ورقص الأولاد على ضـوء الكلوب المضـاء فى الحجرة الأمامية للمنزل الكبير حيث يجلس الرجال ..

— عم أبو الروس ذكى ..

— عم أبو الروس ذكى ..

— يبيع التراب ويقبض الأموال ..

— يبيع التراب ويقبض الأرض ..

— ونستريح من الفلاحة ..

— ونستريح من ...

— أنت نائم !!

— أنت ....

— يا غبى ..

— .....

واستدار الرجل ، ولم يجد من يتحدث اليه ، فقط لمح شبح ابتسامة باهتة على فم أبى الروس — لقد كان ينظر اليهما وهما يتحدثان — أشار اليه أبو الروس أن يقف ، وقف ، أشار اليه أن يخرج ، خرج ، كان حزينا يشعر بالانكسار ، لم يعد ...

.. ولكنه لم يجد من يتحدث اليه ، ذهب الى حضن زوجته .

سأل صبى زميله وهما يتحدثان أثناء مرور احدى الدورات لنقل التراب من الحقول الى مصانع الطوب :

— متى تزف اختك ؟

— فى العيد ..

— يقولون أن أباك قبض المهر .

— لا ..

— كيف ؟

— أبو الروس قبضه ..

— لماذا ؟

— مثل ما قبض مهر اختك .

— ولكن •••

— هل معك نصف قرش

— لماذا ؟

— نلعب لعبة الرهــان ••

— ولكن التراب !!

— لا يهم •••

— ولكنهم يحصون عدد دوراتنا ••

— لا يهم •••

— واذا خسرت لن تغضب ؟

— لن أخسر ••

قام الرجــال من عند البيت الكبير ، كانوا يجلســون فى المندرة حتى يخرج اليهم أبو الروس ولكنه لم يخرج كان مشغولا، هزوا اكتافهم فى أسى وقاموا بتثاقل ••

قال رجل لآخر :

— مشغول ••

— الله يكون فى العــون ••

— فقط لو ترك لنا فرصة معاونته ••

— مشغول ، الله يكون فى العون ••

— التراب يقل من الأرض ولم يبق الا القليل •

— الله يكون فى العون ••

— لم يبق لنا أرضا نزرعها ، ولا ترابا نبيعه •

— الله يكون فى العون ••

— بل لم يبق لنا قدرة العمل ••

بصق أحدهم على الأرض واستودعهم ومضى بمفرده ، وصل الى بيته الموجود فى آخر الجزيرة ، وجـد زوجتـه تجلس على الباب ، غضب غضبا شديدا وهز رأسه ، قامت المرأة فى تثاقل وخلعت ثوبها ، وخلع الرجل ثوبه كذلك ، رقدا متجاورين ، كان كل منهما حزينا مهموما ، وكان •••

كان أبو الروس يمضى سائرا فى الشارع وقد خلى الشارع الا من طفلين أحدهما قال :

— أبو الروس مات ••

وابتسم الطفل الآخر ولم يعلق ، ولكنه جذب زميله وذهبا الى شارع آخر •

ومضى أبو الروس حيث كان سائرا ، فقط شعر بشىء ما يدغدغ أطرافه ، بل أحس ببعض الألم فى صدره ، ولكنه رغم هذا مضى سائرا حيث كان يريد ••

فى الصباح استيقظ الرجل الذى ضاجع زوجته وارتدى جلبابه على عجل وخرج وهو يفكر فى أشياء متفرقة لا رابط بينها

ومضى حتى وصل الى النهر وخلع ثوبه وقذف بنفسه الى الماء مثلما يفعل كل صباح ..

وفى الماء تركزت أفكاره قليلا بفعـل برودة الماء ، وبفعل خوفه من الغرق ، فلم يكن يجيد السـباحة ، فقط يعرف كيف يغطس ، ثم كيف يسير خطوتين مستندا على بعض الأحجار ، ولهذا جمع أفكاره وتنبه الى ماحوله ، كان لابد له أن يجلس على الأحجار التى تعود أن يجلس عليها ولكنها الآن غير موجودة، استدار بسرعة ولكن قدمه لا تجد ما تستند عليه ، حـاول أن يدفع جسده ولكنه يهوى الى أسفل حيث البرودة تزداد ، فكر كثيرا ولكن أفكاره تتلاشى فور وجودها ، قبض على الماء بيديه ولكنه ، لا يرتفع بل يهوى الى أسفل ، البروة تسرى فى قلبه وأخيرا قرر أن يفعل شيئا ، أراح جسده ، شعر بالارتياح يسرى فى جسده وهوى الى القاع ..

ــ مات ؟

ــ نعم ..

ــ كيف ؟

ــ فى النهر ...

ــ ولكنه كان يذهب الى النهر كل صباح ، ويسبح كل يوم طوال كل هذه الأعوام العديدة !!

— لم يكن يعرف السباحة ..

— خدعنا ..

— لم يقل لنا أنه يجيد السباحة ..

— ولكننا كنا نراه كل يوم يسبح فى النهر !!

— خدعتنا عيوننا ..

لم يحضر أبو الروس جنازة الرجل الذى مات ، لم يستطع أحدهم أن يفعل شيئا ، الرجل الذى مات يرقد فى التابوت ، والقبر قد أعد وتراكمت الأتربة على جانبيه ، والسرادق أقيم ، والنسوة يقفن فى المؤخرة على أهبة ترديد عويلهن ، والرجال يقفون فى صمت ، ولم يحضر أبو الروس بعد ..

وجاء الليل واشتدت البرودة ، ذهبت النسوة من أجل الأطفال الى البيوت ، وبعد قليل ذهب الرجال من أجل النساء اللاتى فى البيوت ، لم يبق الا الرجل الذى مات والقبر المفتوح ، وأبو الروس الذى لم يحضر بعد ..

٣٠/٤/١٩٧١ ـ القصة

الرغبة فى المعرفة

قطتنا السوداء تأكل صغار الحمام ، تتسلق السلالم الخشبية خلسة ، ثم تقفز على (السحارة) الخشبية المعلقة بمسمار بالجدار ، وحيث وجد بيت الحمام ، فتنقلب السحارة ، وتتساقط الحمائم الصغيرة التى لا تجيد الطيران ، وتكون عتمة المساء قد غطت السندرة ، وجعلت منها كهفا شبه مظلم ، تصوصو الحمائم فى ذعر وهى تجرجر أقدامها المكسورة فى ألم وتتجمع بجوار الجدار ، تتقافز بوسى فى سعادة وهى تستعد لتناول وجبة عشاء دسمة ...

أمى ، عندما اكتشفت فعلتها ، هرولت فزعة الى حيث كان أخى الأكبر يتناول العشاء ، وهزت بعنف كتفه وهى تصيح :

— اقتلها ..

اخى : .....

كان مشغولا بالغضب من زوجته ، نظر اليها ، فرت منـه خائفة ، ارتفع صوته غليظا قاسيا :

— لابد من قتلك ...

جرى خلف زوجته ، فأسه فى يده ، المرأة تدور وسط الدار تولول وتصرخ فى هلع ، تتخبط فى ذعر ، صـوت أخى يتمدد فوقنا ، شل حركتنا ، ينقلب الكتاب من يدى ، يسسـقط فوق المصباح ، يسود ظلام دامس ، أسمع صرخة زوجة أخى .. ثم انقطعت الصرخة فجأة وساد الصمت ..

الفارس ، ...

شاع فى البلدة أن الفارس سيأتى ، فى عصر يوم السبت ، جرى هريدى ليأتى بالبسـاط ، وراحت النسوة تعد الفطائر ، والفتيات — يعفر الدقيق الابيض ضفائرهن السوداء — يندفعن من باب الى آخر متضاحكات .

فى السماء كانت الشمس تميل نحو المغيب ، بينما جلس الرجال فى أول الطريق عند النبع الضيق يتهامسون فى ضيق ، هبت نسمة باردةجعلتهم يصمتون، همس أحدهم فى غيظ مكتوم:

— آه يا بلد !!

مضى يوم السبت ولم يحضر الفارس ..

معلم المدرسة ،

قال انه لا يحب طعام القرية ، لكزنى جارى وهو يضحك. كنا نضحك عندما سقط سقف حجرة الدراسة ..

الزيارة :

يمتلىء الجو برائحة المخدر وطنين الذباب ، ابتسمت أمى وهى تدنو من سريرى تناثرت حولها رائحة البرتقال الذى تحمله سعل شاب بجوارى ناولته أمى برتقاله ثم وضعت الباقى على الفراش وجلست مهدودة . جاءت ممرضة سـمينة وراحت فى عصبية تجمع حبـات البرتقال ، وهى تسـب أمى وتطردها الى الخارج ..!

الحلم ، .

تقدم مساعد الكاهن ورفع يده بالتحية المقدسة ، وقال :

— مولاى انك ترعى الآلهة ، وتحرس ببركتك نهر النيل ، وتعلم كل أسرار المعبد .. فلا تغضب هكذا .!!

كان للكاهن وجها قبيحا ، نظر الى مساعده فى غضـب، وقال وهو يتكلم من أنفه .

— ويلك منى يا كاهن الأباطيل ..

(مساعد الكاهن يأكل أظافره) .

— مولاى .. امسك عليك لسانك .

— واذا لم أفعل يا ابن الزانية ؟

تجهم وجه المساعد ، ارتعدت أطرافه ، واجه نظرة رئيسه فى وقاحة وقال :

— أعرى جسدك المقدس من ثياب السلطة

— أنت !!

— مولاى يا صاحب القداسة ، يا معلم الحكمة وحامل شعلة ابيس .. نعم انه أنـا .

تقدم الكاهن نحوه ، وقد اتسعت عيناه ، وانبثقت أبخرة حارة من أذنه ، وهو يردد :

— انت ايها القرد العديم العقل .. يا مسخ البحيرة ؟!

جلس المساعد على مؤخرته وهو يقهقه

— مولاى .. انت وأنا .. اعنى أنا وانت نعرف السر ..

— صه يا جرثومة ..

— مولاى صاحب الفرس الأحمر . أنا وانت لدينا أطفال . دعنا نأكل عيشنا ..

— اصمت والا قتلتك .

تساقطت جمرات حمراء .. ثم أظلمت الدنيا .

تجمعوا ، التفوا حول النور ، ارتفعت أصوات من داخل العربة بكلمات لا رأس لها ، ذيل الكلمات يطول ، يلف أعناق الرجال الذين يقفون فى تململ فى انتظار عرض الفيلم .. ولكن الرجل يردد كلمات تجلجل فى جرن القرية ..

نفرت جاموسة وجرت فى وسـط الحشد الذى تفرق فى ذعر ، جرى خلفها قطيع من البهائم ، امتدت أيدى الرجال الى مقاود الحمير .. صرخت عجوز على حفيدتها .. راحت لعنات الجدة تنطلق فى دفعات متلاحقة على رأس الفتاة .. لسعة برد سرت فى أجساد القلة الموجودة حول العربة .. مضوا .. بقى الصوت .. يقول .. يقول ..

أنا

رفعت رأسى الى أعلى ، كان الجو قيظا ، صاحت أمى وهى تعتلى الجدار :

— ها هى القطة قد عـادت ..

— ولكن أخى ...

— لم يفعل شيئا .. يجب أن تقتلها أنت

تمنيت أن تغرب الشمس حتى أخرج ، سمعت صرخـات زوجتى وهى تضع المولود الجديد ، قذفتنى أمى بأشلاء جثث الحمـام الذى مزقته القطة .. سقط بجوار قدمى رأس حمامة منزوعة تقطر دما .. رفعت فأسى وخرجت ..

العربون ، ..

حول النار كان ابريق الشاى يغلى ، الرجال يتحدثون عن موسم الحصاد ، قال كبيرهم :

— اتفقنا ؟

صمت الجميع وحملقوا فى النار ، هززت رأسى علامة الايجاب ، ناولنى العربون ، وقف ، كان طويلا مفرودا ، خطى نحو الخارج ، تتابع القوم من بعده حتى صرت وحيدا .. همدت نيران الموقد ، عم الظلام ، النقود فى جيبى ، وتمددت .. راحت الاشباح تدب من حولى ..

التنفيذ ، ..

رقدت ، رأسه تتقافز من بين أعواد القمح ، شعرت ببرودة تسرى فى جسدى ، الأرض جافة ، متشققة والقمر يتأهب للنوم. أترقب لحظة .. تستقر رأسه أمامى .. يخرج المقذوف الى أذنه ، استدار .. أخى .. سقط .. لمحت طيفه أمام عينى .

ان أتبين صحة الطيف خارج مهنتنا .. محذور ، وقفت .. ومضيت فى طريقى نحو الدار . دارنا ..

القط الأسود :

بوسى تأكل أفراخ الحمام ، تطاردها زوجتى فى اصرار ، أمى تقول فى وهن بعد أن رقدت مهدودة وسط الدار :

— دعوها لا تقتلوها .

زوجتي تصرخ فى غيظ :

ــ اقتلها .. يجب أن تقتلهــا ..

صوت أمى يأتى مرتعشا :

ــ دعها .. لا تقتلها ولا تقترب منهــا ..

تدور القطة حولنــا فى اصرار وبدون خــوف ، زوجتى تطاردها بالحجارة ، تصرخ :

ــ لم تعد تقدر على قتل قطة ، بعد أن ..

أمى ترفع صوتها الواهن بصعوبة :

ــ لا .. انهــا .. انهــا .

حجر أبيض استقر فى الجبهة ، تراخت رأســها ولم تكمل حديثها ، رفعت فأسى ، ســقطت زوجتى من فــوق الجدار .. تقدمت وفصلت رأســها ..

الفارس ، والعودة :

هائم فوق الطرق الترابية ، اتنفس من خلال عيدان القصب، أزود عن كرامات الرجــال ، أتزود بقطرات النــدى .. أغنى للنجوم ، القمر .. لليوم القادم ، أغنى للزهر المتفتح . انشد : اليوم القادم أفضل ، ذلك مكتوب فوق الصخر ، فوق النهر . فوق جبين الطفل الوضاء ساعة أن يضحك للقمر ، أغنى للربيع

القـادم . أقرأ حروف الأغنية فى سحابات الشتاء ، وضـبابات الصيف ، وأقابل كل عروس .. فى كل يوم .. أبشرها بالميلاد انتظرونى فأنا قادم اليكم ، أنا قادم لأن بى شوقا اليكم .. ولأن بكم شوقا الى المعرفة .. أنا . قادم . اليكم .

١/١١/١٩٧١ (مجلة الثقافة)

جاءت الأحــلام تؤكد للفتى ما رآه فى الواقع ، ولهذا وقف حائرا وهو ينظر الى وجهه فى مرآة الحمام ••

فى الصباح ، حينما دخل الى الحمام ، ممسكا بيده فرشاة متآكلة الشعر علق بها بعض فقاعات الصابون ، كانت رائحة الحمام عطنة ، وبعض ملابس أمه الداخلية ملقاة فى اهمال بجوار صندوق الملابس ، سمع صوتها وهى تناديه ••

تكرر النداء بعض الوقت ، ثم سمع صوت الباب وهــو يغلق فى عنف ، ساد الصمت ، والسكون ، شعر بالخوف ، جرى الى الصالة ، دار حول نفسه ، •• لا أحد ، رحلوا •• تركوه ، وحيدا ••

مشى فى خطوات بطيئة ، دخل حجرتها ، انبعث الى أنفه رائحة أخاذة ، طردته الرائحة والرغبة فى القيء ، عاد الى الحمام ، حاول أن يحلق ذقنه ، ولكن يده ترتعش باستمرار ، قذف الفرشاة فى الحوض ، أسرع الى حجرته ، وجلس على حافة فراشه ثم رقد وتمطى ، شعر أن هناك من يراقبه ، أغلق الباب على نفسه ، فكر فى أن يفعل شيئا ذاتيا .

أخرج مجموعة الصور من مكتبة ، راح يقلبها فى ملل ، أراد أن يستجلب لذة ذاكرته وهى تعمل ، (.. هذه ، كانت تضحك وتكذب كثيرا ، أحبها عامين ثم تزوجت ، كانت سمراء مثل حبة الفول السودانى الجيد النضج ، كم من مرة حاول أن يقبلها ولكنها كانت تجرى مبتعدة مدعية الخوف .. وهذه بيضاء مثل ورق الخطابات الغرامية ، ملساء فى نعومة ، تلوك فى فمها دائما شيئا ما ، سألها ذات مرة :

— هل سبق أن مارست الحب ؟

سال من فمها لعاب واتسعت عيناها فى نشوة ، ثم فرت هاربة ولم تعد بعد ذلك ..

أحزنته هذه الذكرى لم يستطع القيام معها بعلاقة غرامية..

كان الجو حارا وهواء الغرفة ساكنا ، وأصوات ضعيفة تأتى من بعيد ، يرتفع أحيانا صوت سيدة تسب رجلا ، الأشياء

فى الغرفة توحى بالغموض .. (.. حتى هذه السمينة ، ذات الأرداف ، التى تتكلم دوما ، فى وقاحة مثيرة ، لم يستطع معها شيئا ..) تذكر ..

(فى الليلة التى انقطع فيها النور ، وعم البيت ظلام دامس. وعندما حاول أن يسلك طريقه الى غرفته ، اصطدم بجسد امرأة، كان دافئا لزجا احتضنته بقوة ، شعر بالنشوة تسرى فى جسده . ولكن تيار الخوف صدمه بعنف ، قاوم خوفه ، حاول أن يتشبث ولكنه جرى الى فراشه ، .. لم يعرف ليلتها طعم النوم ، كما لم يعرف ، حتى الآن ، من تكون صاحب هذا الجسد الدافىء الى هذا الحد ؟)

ترك الصور تسقط من يده ، ..

أمه نادته قبل أن تمضى ، كان ما يزال متأثرا بحلم رآه فى نومه ، لم يستطع التخلص من بقايا الحلم ، وقفت بجوار فراشه ، قالت :

— اليوم ، كما اتفقنا من قبل ، سأذهب معه ، ربما نمكث اسبوعا ، وربما أقل ..

(.. آه ، هذا الرجل الكسول ، الذى يأتى دائما ، وحينما يضع يده حول كتفى ، يصرخ ببعض الكلمات ، أفر هاربا من رائحة فمه ..)

لا تقلق ، خالتك ستكون بجوارك دائما ، ها هي النقود انها تكفى لكل شيء ، لكن دون اسراف ، البواب معه مبلغ آخر كل شيء مرتب من أجلك ، لا تبدو يائسا الى هذا الحد ، .. يجب أن تأخذ حماما قبل أن تخرج ، حاول أن تبتسم ، أتمنى أن أرى ابتسامتك ثانية .. آه هكذا ..

(.. الفتاة السمينة ، التى كنت أتلهف عليها ، كانت دائما تدغدغنى بيدها فى جنبى ، وكنت دائما أكتم ضحكتى ..)

أنت رجل الآن ، خالتك ستكون معك ، انها تشعر نحوك بالحب أنت تعلم انها لم تتزوج حتى الآن ، .. التعويض ، أنت لا تفهم هذا بالطبع ، مازلت صغيرا رغم شعيرات وجهك السريعة النمو ، وأنا ، وهو .. يعنى أن ذلك كان لابد أن يحدث ، ربما تفهم ذلك فيما بعد ، ولكنى أرجوك الآن ان تبتسم ..

(.. سقطت سلسلة المفاتيح من يدها ، التقطتها ، كنت أحـاول أن اغيظها قلبتها بين أصابعى ، أحسست انها ترغب فى البكـاء ..)

مدت يدها بلهفة ، لم تقل شيئا ولم ينظر الى يدها وهى تأخذ سلسلة المفاتيح ، مضت بسرعة .

همت نسمة باردة ، صفعت وجهــه ، أحس بالبرد ، أغلق نافذة الحمام ، عاد يضع الصابون على ذقنه ، لاحظ أن احدى

عينيه تبدو حمـــراء ، اغمضـــها ، ضوء اللمبة المعلقة فوق مرآة الحمام يؤذى عينيه ، تراقصت كرات حمراء من الضوء أمامه ، فوق أنفه وقف راهب ، فتح عينيه ، ازدادت الكرات الحمراء حاول أن يطرد الراهب ، دق جرس الباب ، من ؟ ، لا ليست هى انها الآن فى أحضان الرجل الكسول ، لا ليس بعد ، انها فقط تستند الى ذراعه ، انها فى طريقها الى هذا حتما ، ضحك بعض الفتيان ، صرخ فيهم بقوة ، ابتعدوا ، ولكن أحدهم استمر يضحك ، صفعه على وجهه .

(من ؟ .. ماذا تريد ؟ .. لا أريد شيئا ، وحينما أرغب فى شىء ســوف أناديك ، شكرا لك .. نعم قالت لى .. لا ، انت تعلم ..)

عاد الى حجرته ، قرر أن يستمتع بوقته ، أخرج جهـــاز التسجيل وأداره ، ارتفع صوت الموسيقى عاليا ، كان التسجيل رديئا ، أغلق الجهـــاز ، شعر بضيق ، ســـاد الصمت ، بعض الأصوات تأتى همسا ، فى صدره ارتفع هواء حار ، أحس بجسده وشعر بثقله ، عضلات ظهره تنفر منه ، رأســه تموج بتيار من الأفكار ، دق جرس الباب مرة أخرى ..

.. كيف حالك ؟ ، ان أمك ؟ آه نسيت انها اليوم مع .. كل شىء نصيب ، لماذا تبدو حزينا ؟ ، وجهك ملىء بالصابون ،

اذهب الى الحمام واغتسل ، لا بل انتظر ، سوف أمسح وجهك بالفوطة ، أين هي ....

(دارت حول نفسها ، كانت الفتاة السمينة تتعمد أن تصعد السلالم أمامى ، كانت تقف أحيانا فجأة ، واصطدم بجسدها وتسرى الرغبة فى جسدى ، بعدها كانت تجرى ضاحكة ..)

ها هى الفوطة ، قف يا ولد ، لا تتحرك هكذا ، لقد أصبحت عصبيا ، ذقنك خشنة ، لقد عدت رجلا ، لماذا تنظر الى هكذا .. ما هذه الرائحة النفاذة ؟

(.. ووقفت بجواره ، وشعر كأنها تدخل فى داخله ، ارتفع ذراعها الأيسر أملسا أبيض ، رأى بعض الشعيرات صفراء اللون، ارتفع الى أنفه رائحة الانثى وشعر بالنشوة ، أراد أن يتحسس هذه الشعيرات .)

تعال الى حجرتك ، لابد أن تغير ملابسك ، سوف نذهب معا ، نعم اجلس هكذا .. هل أكلت شيئا ؟ .. لا تكن حزينا الى هذه الدرجة .

شعر برجفة تسرى فى جسده ، كانت قد خلعت عنه بعض ملابسه ، ود أن يصرخ ، أو يبكى ، ولكن كان شعوره متبلدا، أحس بالرثاء لنفسه ، عادت وهى تحمل كوبا من اللبن ، وضعته بجواره ، أحس بالدوار ، لابد أن أمه الآن فى أحضان ذلك

الرجل ، سوف يسخر منه الفتيان ، سوف يقولون له أشياء ذات معنى ويضحكون ولن يستطيع أن يمنعهم من ذلك ، وقف الراهب فوق أنفه ، شعر بالغضب ، حاول أن يطرد الراهب الواقف فى بهلوانية فوق أنفه ، شعر بالرغبة فى الاسترخاء تمنى لو تمدد فوق سريره ..

ـ ماذا تفعل ؟ اترك الفراش ، يجب أن تشرب هـــذا الكوب من اللبن ، سوف نذهب معا الى النادى أو الى السينما . لا تتقلب هكذا ، انت تثير أعصـــابى ، انك تثيرنى الى درجة مزعجة ، قم قلت لك ، سوف أعلمك ..

(.. كانت الفتاة السمينة تهمس له فى أذنه ، أحيانا ببعض الكلمات ، لم يكن يفهم معنـــاها ، ولكنه كان يحس بأنفاســـها تحرق أذنه ، وكان موضوع الفيلم سخيفا وردىء التصـــوير ، حاول أن يضحك ، ولكنه لم يستطع ، كانت أعصابه تخونه ..)

ياه .. رأســـك جميـــل ، ولكن .. وجهك حزين ، أنت تهمل الاعتناء بشـــعرك ، له لون الذهب .. وناعم ، لا تتلوى هكذا ماذا بك ؟ اغلق عينيك حتى أحاول أن أمسح ما بهما من دموع ، أنت لا تبكى ، أنت تخنقنى بأنفاسك اللاهثة ، لا ..

(وقفت الفتاة السمينة ، رقصت ، تلوت ، نفرت منى ، جذبتها بقوة ، الضباب يحيطنى ، شعرت وكأن جسدى يثور ، عضلات ظهرى تتمدد ، آه .. لو ..)

لا ، ليس هكذا ، أرجوك ، لا تفعل .. اننى لا أستطيع ، هل تفهم معنى ذلك ، فقط يجب .. ليس بهذه الطريقة ، أنا لا أعلم كيف أرضيك ، أنت ولد طيب لقد أصبحت رجلا ، لماذا تبدو سعيدا هكذا ، أنت حيوان ، أنت وحش ، أنت تريد أشياء ليست معقولة ، سأفقد صوابى ، أنا الأخرى سأصبح مثلك .. سأصبح مجنونة اننى أقترب منك .. ولكن أرجوك ، سوف..

وأخيرا شعر بالارهاق .. ونام ، وفى نومه رأى ما فعله ، وأحس به ، ولكنه لم يجد فيه ما يمتع ، فقد ضايقه ما يفعله ذلك الراهب الذى وقف فوق أنفه .

١٩٧٢/٤/٢

لم أكن أصدق كل ما قالوه ، ولكنى رأيته بنفسى وهو يفعل ذلك ، تحسرت على الأيام التى مضت دون أن أعرفه ، وازداد حزنى عندما علمت كم فاتنى من فرص المتعة التى كنت سأتلقاها لو كنت معه •• ، ولكن هذا ما حدث ، ويقول أحد الحكماء من العصر الصينى القديم (لا تتحسر على ما فاتك وانظر الى الامام ••) وقد فعلت ••

فى اليوم التالى كان موعدنا ، ذهبت اليه مبكرا جاهدت حتى وصلت اليه ، حيث كان يقف فى الوسط ، ونظرت الى يديه: رقيقة رشيقة ، تذكرك بضرورة مراعاة الدقة فى كل شىء ، رحت أرقبه فى انبهار وهو يعمل ، وراحت الساعات تتوالى ، ثم تعاقب الليل والنهار ، وأنا أقف حيث أنا ناظرا اليه أرقبه فى صبر ،

وهو ينسج ذلك الدثار الرائع بألوانه المتناسقة الزاهية » ..
وعندما كنت أشعر بالتعب أرسل فى طلب كوب من الشاى، لم أكن وحدى الذى ينظر اليه وينتظره ، كنا جميعا ، لم يتخلف أحد منا ، وكأنه اتفق مع الجميع ، رغم انى فى أول الأمر كنت أعتقد أنه اختارنى بالذات ، دونهم جميعا ، ولكن ما أن مضت الأيام حتى علمت أننا جميعا نقف فى انتظاره ، ولكن — وهذه حقيقة مؤكدة — كان ينظر الى نظرة خاصة ، وكنت أفهم عنه هـذه النظرة ، ويطير قلبى فرحا .. حتى جاء اليوم الموعود ..

(فى بلد ما من بلاد الصين البعيدة ، حيث كانت الأسرة تقيم احتفالا دينيا رائعا لرب الأسرة ، وحيث كان على كل فرد منها أن يتلو صلاة خاصة فى حضور (رب الاسرة) ، وحيث كانت الحكمة متوفرة لمن يطلبها بل وموضوعة فى عرض شعبى جميل على الأرصفة فى الشوارع والحوارى .. ولم يكن على الانسان الا أن يتناولها ويصبح حكيما ، فى هذا البلد — الذى لم أعد أعرف اسمه من كثرة ما قرأت فى هذا الموضوع — كان البعض يحلوا لهم أن يرتكبوا بعض الجرائم التى تجافى الحكمة رغم وفرتها فى هـذه المدينة ، وكان الناس يتلهفون على رؤية هـؤلاء (البعض) الذين يرتكبون الجريمة ، وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن انسانا ما يبدأ اسمه ببين .. أو بينج .. لا أذكر، أقام مهرجانا سنويا لمرتكبى الجريمة ، وكان يجمعهم طوال العام

من كل البلاد حتى اذا جاء اليوم العاشر من الاحتفال (برب الأسرة) يقيم مهرجانا لهم ، ويجعل رسما قدره (بلينك) — وهو مقدار من العملة فى ذلك الوقت يقدر الآن بدولار تقريبا — لمن يريد مشاهدة المهرجان ، ويقال أن هذا الرجل جمع ثروة طائلة من هذه المهرجانات ويقال أيضا أنه أسس امبراطورية ظلت فى أيدى أحفاده وأتباعه حتى أوائل (العصر الفوضوى الخامس) حيث نزل القحط ، وقل المطر ، وانعدم الغذاء ، واضطرت الناس لأكل الحكمة ، فلما انتهوا منها ، ولم يجدوا ما يأكلونه ، أكلوا بعضهم بعضا ، فاختفت الحكمة ، وبالمعنى العلمى الدقيق ، ذابت فى الأجساد ، وعندما جاء العصر (الخبزى السادس) ، كثر الطعام ، وازداد تكاثر الناس ، فقلت الحكمة فى أبدانهم لتوزعها وتفرقها على أبدانهم جميعا) ، وهذا ما رواه لى ، وأكده .. بعد أن أعطانى (الورقة) التى ستفتح لى الأبواب ، حيث يمكن أن (أفعل) ما أشاء ، أو (أقول) ما أرغب فى قوله ..

وكانت النتيجة — حقا — تتناسب مع كل هذه الليالى التى سهرتها أرقبه .. وأصبحت فى مكانة يقصدنى من أجلها الناس، حتى قرر أن يزورنى بنفسه .

كنت قد طلبت منهم أن يعيدوا تنسيق مكتبى ، وأن يضيفوا الى محتوياته بعض الأشياء الغالية الثمن حتى يبدو المكتب لائقا بى، فاذا جاء وجدنى فى انتظاره يحوطنى هذا الجمال

الخرافى ، .. وقد فعلوا أكثر مما طلبت ، بل أكثر مما تصورت
وها أنا أجلس على سريرى الهزاز وأمامى مكتبى الدائرى المزود
بآلات التوقيع والرفض والحسم والموافقة ، ارتشب الكوب
العاشر من شاى الصباح ، انتظر قدومه وأحاول فى كل لحظة
أن أعتدل فى جلستى لكى أبدو فخما وعظيما وجليلا ، بل طلبت
من حاسبى الالكتيرونى أن يعطينى الوضع الأمثل لكى أبدو فى
غاية العظمة ، ولكنى كنت أشكو بعض التعب أسفل معدتى ،
ذلك من أثر الانتظار الطويل فى برد الليل ، لازمنى حتى الآن
ابتلعت العديد من الأقراص ولكن معدتى تؤلمنى .. ولم يكن
هناك بد من الذهاب الى دورة المياة .. وأسرعت مهرولا ...

جاء ، ولم أكن موجودا ، لقد ذهب غاضبا منى ، وعدت أنا
أصرخ ، والعن كل الحجاب ، لماذا لم تجعلوه ينتظرنى ، قالوا ..
انه لا ينتظر أحدا ، الجميع ينتظرونه وهو لا ينتظر أحدا ، ..
لا ينتظر ؟ .. لا ينتظر ؟ .. ماذا أفعل ؟ .. وقد ذهب عنى
غاضبا ؟ !!

فى اليوم التالى ، جاء أحدهم وأخبرنى بما يجب أن أفعله ،
تنازلت عن سريرى ، وجلست معتدلا الى مكتبى ، .. ولكن
جاء آخر وأخبرنى بضرورة التنازل عن كل شىء .. تنازلت ..
واصبحت عاريا .. حافيا .. جائعا ...

وعدت أقف فى الميدان ، أنتظر وصوله ، كانوا هنــاك ، كثيرون ينتظرونه ، فهل يعود ؟

انى له لمن المنتظرون ••

• ١٩٧٢/٥/٢

ثم مات ..

... كانت الرحلة شـاقة ولكنه لم يسترح ولم يتوقف ، ظل يقاوم العطش والجوع والرغبة فى الصراخ لأنه كان يشـعر بأهمية ما يقوم به .. وعندما عاد ، نسى كل ما مر به ، ولم يتذكر مطلقا صورة التنين الهائل الذى رقد فى كسل وسد عليه الطريق .. ولما حاول أن يدور حوله متحاشيا ايقاظه حتى لا تنشـب معركة بينهما ، سـقط بجوار مخلب التنين ، وظل يقاوم حتى نجح فى .. مواصلة الرحلة ..

ولكن صاحبنا لم يقص علينا كل شىء ، بل أنه يدعى أن لا شىء قد مر به يستحق الحديث أو حتى مجرد التذكر ، لقد كان موجودا قبل الرحلة ، ومع هذا لم يحاول أحدهم أن يتذكره

فلماذا يطلبون منه الآن أن يتذكر تلك الأشـيـاء العادية والتى تحدث فى أية رحلة الى مكان مجهول ..

حاولنا ــ نحن الأصدقاء ــ جذب اهتمامه ، وتحدث بعضنا عن ذكريات مرت به استرعت انتباه الآخرين ، لعله يتحدث هو الآخر ، ولكنه أصر على أن كل ما مر به لم يكن هاما ، .. حتى انه نفى أهمية حادث التنين ــ الحادثة الوحيدة التى أشار اليها وقال أن هذا التنين ، مجرد حيوان خرافى هائل الحجم ، قبيح المنظر ، هلامى المقاطع وان الاشعاع الخرافى عن قـوته والذى أحاط به دائما هو الذى جعله كذلك ، بل أن الدخول فى معركة مع هذا التنين ــ على فرض وجوده فعلا ــ لا تعدو أن تكون مجرد معركة مثل مثيلاتها من المعارك ، وليست معارك الذباب أيسر ولا أصعب من معركة مع التنين ..

.. ولكن يبدو أن حديث صـاحبنا ، لم يحظ باهتمـام الآخرين ، الذين راحوا يعلقون فى حماس محاولين اقناعه بأهمية الاسترسال فى الحديث عما حدث له خلال رحلته الشاقة ، ذاكرين له ارهاق الرحلة ، ومشقة السفر الطويل ، وشدة الشعور بالتعب ، وكل تلك الأمور التى تصيب المسافرين عبر متاهات شاسعة دون دليل أو مرشد ولا سابق خبرة تؤثر على قدرة الحكم ، وتغير من منطق واقع الأشياء وتقبلها ، ولهذا فان ما يخيل لصاحبنا الآن

تافها وبسيطا هو في الواقع ، وبمقياس الأسس المنطقية — هاما وخطيرا للغاية ، ولهذا يجب تذكره وذكره •

ورفض صاحبنا ، ولهذا فهم يحاولون علاجه من هذا الذى أصابه نتيجة سفره الطويل ، ويطالبونه بالتذكر وسرد ما حدث له تخفيفا لآلامه ومنعا من حدوث مضاعفات قد تؤدى — ونرجو ألا يحدث هذا — الى النهاية •••

وعلق أحدنا قائلا :

— ان طبيعة الأمور — كما نفهمها نحن — لا تبدو مستقيمة، ومجرد استهاناتك الحالية ، وردود الفعل السلبية التى تظهر عليك، غريبة عن الواقع بل ومبالغ فيها الى حد كبير ، وقد تسير الأمور الى أسوأ ، بل انها لكذلك بالفعل ، الأمر الذى يدعونا وبناء على سابق خبرتنا ، الى عدم اغفال حالتك ودراستها بجدية •

ولكنه يبتسم ، ويهزأ بهـذا الحماس الذى يبدو علينا — نحن الذين نهتم به — ويسخر من قلة خبرتنا ووقوعنا فى شرك الكلمات السابق قولها وترديدها وعدم التثبت من الأحكام التى نطلقها دون مبرر ••

ولما كانت حالته هذه من الخطورة بحيث لا يصح السكوت عليها ، نحبنا الشديد له ، رأينا أن من الواجب أن نعلن فرض

الحراسة المشددة حوله وضرورة عقد جلسة لتبادل الرأى فيما يجب عمله بعد ذلك ..

وان اختلفت بعض الآراء حول الحالة ، فان الأمر الذى أجمعنا عليه هو حالته السيئة التى تصل الى حد المرض ، وبناء على ذلك اتفقنا على استدعاء خبير لعلاجه والاشراف على حالته التى تزداد تفاقما بصورة سريعة ..

ولم نكن على دراية كافية بطريقة العلاج ولا بمستلزماته ، ولهذا فقد اسلمنا قيادتنا الى الخبير وجلسنا حوله وننصت فى اشفاق الى ما يدور ..

.. كان صاحبنا يضحك ويطلب من الخبير الانصراف الى حاله ، أو الجلوس معه كصديق ، ولم نحاول التدخل لأن معلوماتنا عن الخبير كانت كافية ، والرجل كانت رغبته جادة فى تحرى الدقة فيما يكتب أو يقول أو يفعل ، وكان معروفا بأن لديه خبرة كافية بجميع الحالات وكافة الارشادات مهما كانت الحالة .. ولهذا أثرنا الصمت وجلسنا فى انتظار ما يسفر عنه الفحص ..

أخذ صاحبنا يتكلم عن الأحجار الملونة التى يتلهى بها الأطفال ، ويلعبون بها أمام دار المحكمة ، وكان سعيدا وهو يصف ما شاهده حينما مر بهؤلاء الأطفال وهم يتبادلون قذفها بمهارة،

حتى أنه انبهر بذلك وفكر فى أن يجعلنا نحن أيضا نلعب بتلك الأحجار الملونة ، بل أنه تمادى فى عبثه وطلب من الخبير تجربة ذلك ..

وخشينا ثورة الخبير وغضبه ، وتصورنا أنه سيعلن عن أسفه للحالة التى وصل اليها صديقنا ويغادرنا فى ازدراء ، ولكنه لم يفعل ، ظل صامتا بينما صاحبنا يتحدث عن أحجاره الملونة ..

ومرت فترات طويلة ، صاحبنا يتحدث احيانا ، ويصمت أحيانا أخرى ، بينما الخبير مطرق فى صمت ، وداخلنا الشك فى قدرة الخبير لطول صمته ..

وهمهم أحدنا ببعض الكلمات ، ولكن الخبير بدأ يتكلم وتحدث عن أهمية ما قام به صاحبنا ، وعن سروره العظيم بما حققه بل أظهر اعجابه وتعجبه بالقدرة الهائلة التى يتحلى بها صديقنا ، ولهذا فهو يريد الاطلاع على بعض الأمور ذات الأهمية الخاصة فى ايجاز شديد ــ والتى كان لها الأثر الفعال فى نجاح تلك الرحلة الشاقة ..

وفرحنا بما قاله الخبير فقد بدأ يتفهم وجهة نظرنا ويعبر عنها ، وتصورنا أن كلماته ستفتح الباب المغلق حتى تتدفق من خلاله الأسرار .. ولكن صديقنا الطيب أشاح بوجهه ونظر الى

السماء وكأنه يصلى ، ورأيت ــ ولست واثقا من ذلك ــ سحابة حزن تكسو ملامحه ، ووددت أن أقول شيئا أقنع به الآخرين لكى يكفوا عن النظر الى صديقنا انتظارا لكلماته التى يتوقعوتها ..
ولكن صديقنا الطيب استدار فجأة ونظر الى الخبير وقال :

— انت تفهم فى كل الأشياء .. وهذا صحيح ، ولكنى أود أن أقول لك شيئا جديدا ــ حاول أن تفهمه جيدا .

لاحت ابتسامة صغيرة على فم الخبير الذى أخــرج بعض الأوراق وراح يكتب ثم قال :

— حســنا ...

صــاح صديقنا فى لهجة ساخطة .

— ليس حسنا ، اصمت وحاول أن تفهم !

قال الخبير ، وهو ما زال يكتب دون أن ينظر اليه :

— حسنا .. انى أنصت اليك .

ارتفع صياح صديقنا وهياجه وهو يقول :

—ليس حســنا ، ولا تكرر ذلك .. لا تقل حسنا ، .. لا .. فقط حاول أن تفهم !

— حســنا ، انى أحــاول ...

— لا ، لا تكرر ذلك ... حاول ، أرجــوك ، فقط حــاول

— حسنا انى ...

— كفى !

وقف صديقنا ، كف عن الصياح والحركة ، ظل الخبير يدون فى أوراقه ، لم نستطع التدخل ، كان الأمر فوق تصـوراتنا ، جلسنا نحملق فيما حدث لنا •• هب الخبير واقفا وناولنا ورقة مدون عليها ما خطه ، صافحه أحدنا وسار معه حتى الباب ، لم تلهف على قراءة ما كتبه الخبير •• كنا نعرف ما سوف يكتبه قبل أن يكتبه ••

لم نحاول أن نتحدث مع صديقنا ، تركناه ينظر الى أشيائه ، ورحنا نتبادل العناية به ، نقص عليه قصص البطولة ونحكى له حكايات الذين مشوا على الشوك والنار ، وكيف أنهم قصوا كل ذلك على أصدقائهم ، رغم أن رحلاتهم لم تكن شاقة مثل رحلته ولم يصادفهم مثل ما صادفه ••

ولكن رغم العناية الفائقة ، ورغم ما قمنا به لم تتحسن حاله وطالت فترات صمته وقلت ابتساماته •

ولاننا نفهم ما عاناه ذلك الصديق الطيب فى رحلته الشاقة، ولاننا ندرك كيف سـار دون راحة ، رغم كل تلك المصـاعب والأهوال التى لاقاها ، حتى وصل الى النهاية •• فقـد آثرنا الصمت نحن أيضا •• ورحنا نرعاه آملين أن يجتاز محنته • حتى يقص علينا ما حدث له •••••

(مجلة الهلال) يناير ١٩٧٢ تحت (حادثة التنبيه) •

٦ اكتوبر والأيام التالية

* بيان رقم ١ :

هبت (ست الدار) واقفة فى غضب ، كانت شمس الضحى قد تخطت عتبة الباب ، وتسللت عبر الردهة ، على وشك اقتحام وسط الدار ..

أغارت بعض الزنابير على تمرة ملقاة فى الردهة .. حطت عليها فى محاولة لابادتها .

صاحت (ست الدار) :

ـــ الا تكف عن الاستماع لهذا الراديو ؟!

زام الرجل ، نظر الى زوجته فى عتاب ، تذكر وجه ابنه الأسمر وهو يقدم له أول هدية فى أول زيارة بعد تجنيده :

— أبى •• سوف يجلب لك كثيرا من السعادة ••

— ولكن يا ولدى •• أنا لم أعد ••

— أرجوك يا أبى ••لكى تسمع أخبارى •

قام فى تثاقل ومضى فى طريقه •• فرت مجموعة الذنابير فى اضطراب اثر هجوم خطوات الرجل ، وضع الرجل الراديو بالقرب من أذنه ••

قال المتحدث فى الراديو :

(•• وعندما سمع المجاهد ذلك بصق التمرة من فمه وأسرع الى القتال متمنيا الجنة ، وهو يقول :

— أيمنعنى مضغ هذه التمرة دخول الجنة ؟!

وهكذا كان يقاتل المجاهدون فى الاسلام •••)

— يا رجل •• سوف يفوتنا السوق •• ويعطب تمرنا بكسلك هذا ••

تخطى الرجل عتبة الباب ، نظر الى أقفاص التمر المعدة للتسويق وقال :

— وماذا يهم !!

— لا شىء •• ضعه على اذنك مثل الراديو لكى تموت جوعا.

اغنية حب :

تم كل شيء ، وضــع الرجل الأقفــاص على ظهر حماره ، أدارت (ست الدار) المفتاح فى قفل الباب وأغلقته جيدا ، تحرك الحمار تجاه سوق المدينة فى رتابة مشى الرجل خلف حماره ووضع الراديو على أذنه ، تعثرت (ست الدار) صاحت حانقة :

— انتظر ، أنا •••

قهقه الرجل فى مرح ، سبها فى ود ، قذفته المرأة بحجر صغير فى قدمه أسرع بضعة خطوات ثم وقف يدير الراديو ••

•• هنا القاهرة ••

— يا رجل •• أنت لا تفهم ما يقولونه •• ضعه فى جيبك حتى يأتى موعد المسلسلة ••

— لقد تغير وجه الأرض •• أصبحت ست الدار تعرف ما هى المسلسلة !!

— أنت فقط الذى تعرف !!

موسيقى عسكرية ••

* بيان رقم ٢ :

هنا القاهرة •• ايها المواطنون اليكم بيان صادر عن القوات المسلحه المصريه •• رفعت قواتنا العلم المصرى على الجبهة الشرقيه لقناة السويس ••

— الله أكبر

— انتظر يا رجل حتى نسمع بقية البيان .

وعبرت قواتنا الى سيناء ..

زغردت ست الدار ..

— انتظرى يا امرأة حتى نسمع بقية البيان ..

* انشودة الحرب :

خطوات الرجل أصبحت أسرع ، لون حبات التمر الحمراء تبرق تحت الشمس ، ست الدار تقول كلاما كثيرا ، الفلاحون على جانب الطريق يلوحون بأيديهم وهم يسرعون نحو المدينة التصق الراديو بأذن الرجل ، الأشجار تتمايل بشدة ، الطريق يبدو لامعا ، غرد كروان ، اقتربت عربة مليئة بالجنود ، وهم يهللون ، سقطت من عين الرجل دمعه .. وقف أمام العربة .. راح الجنود ينادون عليه كانوا سعداء وفى عجلة من أمرهم .. تلعثم الرجل ، نظر حوله .. كان يشعر بالامتنان .. حمل اقفاص التمر وقدمها للجنود ، ألح عليهم تضرعت ست الدار الى الجنود .. تقبلوها من أجلى .. من أجل ولدى انه هناك ..

* بيان رقم ٢ :

تتقدم قواتنا داخل سيناء

كتب جون وولكلى فى مقال اذاعته وكالات الأنباء مساء أمس ..

(العالم كله فى دهشة لانهيار القوات الاسرائيلية بهـذه السرعة !!)

* فيلم تليفزيونى :

.. مدرعات محطمة كثيرة جدا ، بقع سوداء ، جـزء من نجمة داود ، مساحات من الرمال ، طائرات محطمه ، جنـدى مصرى ممسكا بمجموعة من القنابل المدببة .

* صورة اعجبت أحد المراسلين :

الرجل يرقص على الطريق ، ست الدار تزغرد ، الفلاحون يهللون ويكبرون وهم وقوفا فى طابور التبرع بالدم ، توقف الرجل يستمع باهتمام بالغ لما يقوله الراديو ..

* صورة اذاعية :

— الاسم والرتبة العسكرية ؟
— برهام .. عقيد حاييم برهام .
— أين كنت أثناء هجوم قواتنا ؟
— فى .. دورة المياه .
— هل كنت تشعر ..
— لا .. لا .. كنت خائفا .

❋ بيان رقم ٤ :

تتقدم قواتنا فى ارتال كبيرة نحو قلب سيناء

❋ صورة جانبية :

الجنود وضعوا أقفاص البلح فى مقدمة العربة أسـفل مؤخرة المدفع س. ت. ٠١٦ قضم العريف تمرة ، شعر بالسعادة والسائل الحلو يملأ فمه الجاف ، صاح احد الجنود :

— نقدمه هدية الى أول من عبروا الضفة الشرقية

وافق الجميع .

❋ بيان رقم ٥ :

تتقدم القوات المصرية فى تشكيلات برية لتؤدى مهمتها .

❋ صورة لم تظهر فى الجريدة اليومية :

لحق الجنود بزملائهم وقدموا اليهم أقفاص البلح هدية من رجل لا يعرفونه ، لا يعرفون اسمه .. انه فقط فلاح مصرى سعيد بكم .

❋ برقية لوكالات الأنباء .

يقاتل الجنود المصريون بروح قتالية عالية وهم يتقدمون داخل سيناء وأجاب جندى على أسئلة احد المراسلين بان لديهم كل شئ من معدات وأطعمة تكفى مددا طويلة .

* صورة خاصة :

كانت حبات التمر بلونهـا الأحمر الفاقع تلمع بارزة بين ألوان ملابس الجنود الصفراء، وتراب الأرض الأصفر، وصناديق الذخيرة الصفراء ، كما انها تشكل مع لون البنادق فى أيـدى الجنود بلونها الأسمر ، وضحكاتهم البيضاء علما فريدا .

— ياه .. وكأنهم يعرفون عددنا .. كل منا أخذ تمرة !!

نظر كل منهم الى ما فى يده فى سعادة ، منذ خمسة أيام لم يأكلوا شيئا طازجا .. ذكرهم هذا التمر بقراهم ، بسـاعات سمرهم المسائية ، بفتاة فى العاشرة تقف فى أول الدار وفى يدها كوب من الماء ..

* أمر قتـال :

أضرب ..

* مصورى الصحف ، على أغلفه المجلات :

.. أيدى الجنود مشغولة بالسلاح والقتال .

* صورة خاصة لمجلتنا :

سقطت حبـات التمر من الأيدى المشـغوله بالحـرب ، انغرست فى الرمل والرجال يتسابقون يأملون الجنة .

* بيان رقم ٦ :

نجحت قواتنا المتقدمة فى قلب سيناء من تدمير قــوات العدو وتكبيدها خسائر فادحة فى الرجال والعتــاد ، واستشهد جندى واحد .

* فيلم تليفزيونى على القناة رقم ٩ :

تتدفق القوات المصرية فى قلب سيناء .

* تعليق مراسل عسكرى لوكالة الأنباء :

.. والغريب فى الأمر ان الجنود عندما جاءهم الأمر بالتقدم كانوا يأكلون تمرا قذفوا به واسرعوا بالتقدم ، وكانت كميات التمر التى عثرت عليهــا كبيرة جدا وطازجة أيضــا ، وانغرس معظمها فى الرمل .. وربما عندما يحل الســلام على الأرض تنبت نخيلا ، تنبت آلاف من النخيل تثمر اطنانا من التمر .

* صورة عادية ، لم تسترع اهتمام مصورى الصحف :

الرجل فى المســاء لم ينم ، جلس بجــوار الراديو ينصت باهتمام وبجواره ست الدار تتابع ما يقوله الراديو ؟

يقول النبى ..

٢٢/١٠/١٩٧٣ (مجلة التحرير) .

الأميرة ذات التهمة

ذات صباح وقفت ابنتى الصغيرة ، وصاحت :

— أبى ؟

كنت مشـغولا عنها بقراءة الجريدة ، لم أحـاول الرد أو النظر اليها ، كان الخبر فى الصفحة الأولى يتحدث عن جرائم التموين ، ولكنها تقدمت عدة خطوات حتى صارت بجـوارى وجذبت كمى ، ثم صاحت مرة أخرى :

— أبى ؟

قذفت بالجريدة فى ضـيق ، ولكن وجههـا البرىء ، جعلنى أشعر بالرثاء لنفسى ،

— نعم يا صغيرتى !

رفعت عينيها ، ونظرت الى ، لاحظت شدة اضطرابها ، سألتنى :

— هل تأتى الى هنا طائرات الأعداء ؟

الى هنا !! ، أين نحن ؟ ألسنا فى مصر ؟ ، فى الدنيا ، والدنيا تحارب من أجل التحرير ، سوف تأتى طائرات الاعداء اذا استطاعت ان تأتى ، قلت ؟

— نعم .

تلقفت الكلمة من فمى ، انطلقت تعدو ، سمعت ضحكتها المجلجلة تدوى فى مسكننا الصغير ، عدت الى قراءة الجريدة .

وقرأت ، (مطلوب شقة أربع حجرات وندفع الديكور) .. ندفع الديكور .. ندفع الديكور ، ماذا يكون هذا الديكور ؟، وكم يبلغ ثمنه ؟ ألفا ؟ .. أكثر ، لماذا لا أنشر اعلانا بهذا الشكل (مطلوب حجرتين وندفع الديكور) ، سوف أقبض (الجمعية) وسلفة البنك أول الشهر ، سيصل المبلغ بعد اضافة نصف المرتب الى المائة ، ثم ان ديكور المنازل فى مدينتنا هذه .. النائية ، أقل من منازل القاهرة ، يمكننا أن نكتب هذا الاعلان ..

— ابى ؟

— ماذا ؟

شـدنى بعنف ، تركت الجريدة ، ونظرت اليه ، هـذه السيدة التى تترك أطفـالها تستحق اللوم ، كان وجهـه مليئا بدموعه المتساقطة على وجهه المترب ، ونظراته تبدو غاضبة ، أحب طفلى هذا •• انه ملىء بالحيوية والحركة ، الشقة الواسعة سوف تفيده وتسعده ••

— هل تأتى طائرات الأعداء الى هنا ؟

الى هنا ؟! ، وما الذى يجعل طائراتهم تأتى الى هنـا ؟ مجرد مدينة ريفية ، خالية من المعسكرات أو المطارات ، أو حتى من المصانع فلماذا تأتى ؟ ، رفعت رأسى وقلت فى ثقة ، متلهفا للعودة الى القراءة :

— لا •• لن تأتى •

وأسرعت أدفن وجهى فى الجـريدة ، ولكن الصـغير لم يمهلن ، صاح :

— لماذا قلت لاختى ، ان الطائرات سوف تأتى الى هنا ؟!

— أنا ؟!

— نعم قلت لها ذلك •

— ربمـا ••

— لا ، لن تأتى طائرات الأعداء الى هنا أبدا •

ورميت الجريدة ، وقفت فى عصبية ، انهـا غير جـديرة بالأمومة هذه الأم التى تترك أطفالها يسوءون كالقطط الشرسة حول آبائهم ، ارتفعت يدى وهوت الى وجهه المبلل بالدموع ، ولكنه وقف متشنجا ، ممتنعا عن الجرى أو البكاء ، كنت أود أن يبكى أو يصرخ ، أو يفر من أمامى ، نظر الى فى تحد ، عيناه واسعتان ، تخترقان جبهتى ، تخوص داخـل عقلى ، تكتشف حقيقة الطفل الخائف الذى أكونه ..

تمزق من حـولى سـاتر الرجولة الزائف ، ارتميت على مقعدى فى عصبية ، جسدى يهتز ، وأنا أشعر بالخوف من ابنى الصغير ..

استدار وجرى نحو أخته التى كانت تنظر الينا فى دهشة ، وكانت تبكى فى خوف ، أحسست انها تشاركنى شـعورى ، وتطيب خـاطرى ، رفعت جريدتى ، محاولا القـراءة .. حتى أهرب من عين صغيرتى ..

أخذت أبحث عن اعلان بيع شقة بالديكور، الأحرف صغيرة ودقيقة ، الاعلانات كثيرة ومتنوعة ، عيناى تدمعان ، أشـعل سيجارة أهرب فى دخانها ، تدور دوائر الضباب من حـولى ، ابحث عن المتعة فى حلم اليقظـة أغمض عينى حتى أرى نفسى املك بيتا بحديقة ، ومقاعد خضراء ، وأكواب الشاى الساخن

تتصاعد أبخرتها الى انفى، وأرجوحه تلهو عليها صغيرتى، وصوت امرأتى يأتى من الداخل ، والشمس تتدفق حارة فوق جسدى ..

لكنى أمسك بالحلم ، أهده ، اصحو على بروده أوراق الجريدة ، تدفعنى الرغبة فى الهرب من الأحلام الى قراءة الاحرف بدقة . (بوتاجاز ٧٤ ملون ، نهائى ٩٧٠ جنيهـا والمخابرة ..) الأحلام تراودنى ، سخف الرؤيا يهز كيانى ، يدفعنى للثورة ، أين الشقة ذات الديكور ، ندفع الديكور ..

— أبى ؟

— ماذا يا صغيرتى ؟

— خرج حازم الى الشارع

وقفت ملتاعا ، مئات الصور لطفلى : تدهسه العربات ، يحمله متشرد الى وكر العصابات ، تختطفه امرأة قبيحة ، يمشى دون وعى مبهور الأنفاس ، مرتعش القلب ، هلع الفؤاد ، لا يقدر على العودة .

— متى ؟

— بعد أن ضربته يا أبى .. قال انه سيذهب الى الجيش .

— ماذا ؟!

— ويحمل مدفعاً .

— ماذا ؟!

— لكى لا تأتى الى هنا طائرات الأعداء •

طفلى لا يـدرى ماذا يفعل ؟ وأنا ماذا أفعـل ؟ يبدو أن الطفل يعرف أفضل منى !

الشـارع يمتلأ بالناس ، مذياع البقال يعلو صـوته على صوت الضجة فى الشارع ، أغنية تهتف بالأحرار ، رجل يقـرأ الجريدة بصوت عال ، يلتف بعض الناس من حـوله ، تختلط الأصوات وتتشابك ، لم يرتكب اثما حتى أضربه ، كان يسأل وكنت مخطئا ، والآن أنا أجرى فى الشوارع ملتاعا ملهوفا عليه ، أشعر أن الكل سعيد ، لا أحد ينظر الى وجهى فى أسى ، الطفل بخير حتى الآن ، الناس هنا يعرفون كل شىء ، لو أن الأمر خطير ما قابلت هذا الرضا من الناس ، أحجم عن السؤال ، انهم يعيشون هناك بقلوبهم بعيدا •• حيث كل الأولاد تعيش الحرب •

تخنقنى العبرات ، ودقات قلبى تقفز من صدرى ، أتحسس رأسه اصطدمت أصابعى بحرارة جسده ، أجره من يـده الى البيت ، يقاومنى فى تمرد صامت ، أتوقف ، أود أن أتحدث اليه، ولكنى لا أجد ما أقوله ، أعاود جره مرة أخرى تتحرك قـدماه فى تصـلب ، أرفعـه الى كتفى ، اخفى وجهه خلف ظهرى ، يركلنى بقدميه فى غضب ، بائع الحلوى يتحدث الى الأطفـال

بلغــة مشتركة ، أمد يدى اليه بقروش ، يقف البــائع خلف ظهرى يحادثه ، .. هذه لك لأنك ولد همــام ، وهذه لاختك الأميرة ذات الهمة .. هذا أفضــل ، ستذيب الحلوى الصمت من على لسانه .

الليل بارد ، المرأة تنام بجوارى قلقة ، تضــطرب ، فى نومها ، يلهب حواسى أزيز هذا الفراش كلما تقلبت ، الظــلام يخنقنى ، وفى اللحظات التى أغفل فيها أرى أحــلاما مزعجة ، جميعها تحفل بالطائرات التى تسقط أطنانا من القنابل ، قدم لى أخى الجندى قطعة من قنبلة وضعتها على مكتبى بجوار منفضة السجائر .

الليل طويل ، وامرأتى ترقد فى توتر ، اتحسس طفلى فى الظلام ، جسده ينتفض ، انه يحلم هو الآخر ، لابد أن أحلامه هى الأخرى مليئة بالطائرات ، يسألنى فى اليوم مئات الاســئلة حول الحرب ، وهــــذه طفلتى دائما تنام عارية فى هـــذا البرد ، ودائما أضع عليها وحولها الغطاء ، ولكن لا مفر من أن أفعل هذا عشرات المرات أثناء نومها .

.. الفكرة فى الليل تبدو متضخمة ، منتفخة ، لو أمكن الحصول على مسكن أكثر اتساعا من هذا ، نأكل وننام جميعا فى حجرة واحدة ، الصالة مكدسة بالمقاعد وقطع الأثاث الأخرى

مغطاه بورق الجرائد ، وقطع القماش البيضاء ، تبدو فى الليل ككهف مهجور .. ، أرغب فى الصبح ، فى الشارع ، فى الأمكنة الفسيحة ، فى التواجد مع الانسان ..

— اكتب هنا اسمك وسنك ومهنتك الحالية .

— كتبت ، وتسلمت المهمات يا سيدى .

— ولماذا تقف هكذا ، تحرك .

— أرجو السماح لى بالتغيب لمدة ساعة .

— من الآن ، من أول يوم !!

— لا .. لن أكررها ، فقط اليوم .

تعالت الضجة ، هللت طفلتى الصغيرة ، راحت تجذبنى من أطراف سترتى ، جرت أمامى ثم راحت تنشد فى حماس بلادى.. بلادى . بهرها منظرى بملابس الجنود ، تذكرت صور جنودنا التى يحملها أطفال الحارة ، جاء هو — طفلى — فى خجل وحيانى ، حملته بين يدى وقبلته ، قال وهو ينظر مباشرة الى وجهى :

— لن تأتى الى هنا طائرات الأعداء ؟!

صاحت الصغيرة ، فى صوت مسلوخ :

— لن تأتى يا أبى .. لن تأتى

ابتسمت ، كنت أود أن أحكى لهما أشياء كثيرة ، ولكن امرأتى كانت تنظر الى ، الملابس البيضاء تناسبها تماما ، تبدو سمرتها فى ثوب ملائكة الرحمة ، حبيبة الى القلب ، وفية ، يدها تحمل حقيبتى ، هبط طفلى وجرى نحو أمه ، أمسك بيدها الخالية . تقدمت نحوها ، قلت :

— هل أنت ..

— لا ..

— أود أن ...

ناولتنى الحقيبة ، وقالت :

— مع السلامة .

دارت طفلتى الصغيرة حولى ، تنشد : بلادى .. بلادى ، وهى تقلد الجنود فى سيرهم ، خطوات نحو الباب ، صاح طفلى قبل أن أخرج :

— لن تأتى الطائرات الى هنا .

— لا لن تأتى

هبطت الدرج مسرعا ، وقبل أن أهبط الى الدور الأول ، سمعت صغيرتى تصيح حتى يسمعها الجيران :

— أبى ذهب ليطرد الطائرات .

٦/١٢/١٩٧٣ (مجلة التحرير) .

أرجوكم لاتصموا آذانكم عن بكاء الطفل

عندما انقض عليها ضربا وركلا بيديه وقدميه . كان غاضبا حقا ، وكان كئيبا وحزينا كذلك ، فقد اخترق صياحها دماغه بشدة ، أزعجه بكاء ابنته على أمها ، حاول فى أول الأمر الهرب ، الفرار •• ولكنه لم ينجح ، فشـل •• رقد مستسلما ، ولكنها ظلت تبكى بشدة ، نواحها المتواصل هد أعصابه ، انهال عليها ضربا وركلا ورفسا •• كانت فى الرابعة عشرة من عمرها ناضجة كتفاحة فى سوق التوفيقية ، وكان هو يشكو صـدعا فى علاقته بأمها •• مضى يضربهـا فى غيظ ، ثم فى نشـوة ، أحس بليونة جسدها ، سرى فى جسده مسـا ، تيـار الغرائز ، المتنـافرة المضطربة ، استمر يضربها مهتاجا متلذذا ، جسدها مثل بالونه فى يد طفل شرس ، ينتفض بلا ارادة ، دمرتها المفـاجأة فكفت عن

البكاء ، •• قاوم نفســه ، غلبته الرغبة ، تشــبث بها ، كانت النافذة مفتوحة حملها بين يديه وقذف بهــا لتسقط على أرض الشارع تصرخ فى ألم •••

كانت رائحة المخدر تملأ المســتشفى ، الأغطية البيضــاء والضمادات تخفى وجهها وجسدها ، فقط العينان تنظر بهمــا فى اتجاه واحد ، دمعة متحجرة باقية فى طرف العين ، ترنو اليه فى عتاب ، وقف •• ود لو انه بكى ، تظــاهر بالصرامة ، دار حول نفسه ، ابتعد •• مضى مسرعا ••

عندما تحرك قطار حلوان ، كان يقف بالقرب من النافذة ، وكان يعانى ــ مثل كل ركاب القطار ــ ضيقا فى التنفس وزهدا فى الحياة ، الزحام يشتد والأعصاب تزداد توترا ، انتابته الرغبة فى القتل ، قتل كل من حوله حتى يتسع المكان ويتنفس ، ولكنه أحس بضعفه ، تراجع ووقف مهزوما ، كان عقله مثل قطار حلوان مزدحما بآلاف من الأفكار والمشاكل والأمور المعقدة ، تراكمت كلها وراحت تحاصر تفكيره وتضغط عليه •• ان الظلم الذى وقع فى مسابقة جوائز السينما لا يغتفر لأن •• لأن سعاد حسنى أحق بالجائزة من نجلاء فتحى ،•• انه لم ير فيلما عربيا واحدا خلال الســنوات الخمس الماضية ، وبالتالى لا يعرف ما الذى قدمته كلتاهما من معطيــات حقيقية جمــاهيرية للفن السينمائى كوســيلة لتقدم الشعوب ومع هذا •• فانه يشــعر ــ شــعورا

جازما — بأن القرار ظالم مجحف ، ويجب التصدى له وتعريته،
ان السينما فى خطر ، والمد التقدمى للفن فى انحســار رتراجع
أمام ديموجاجية البرجوازية وتخبطهــا ، شعر بالدماء تفور فى
عروقه ، تململ فى وقفته ، سبه الرجــل الذى يقف على يساره
واتهمه بالجنون ، حاول أن يرد عليه ، ولكنه وجدها هناك ..
تجلس على حافة نافذة القطار ، تحت ابطها مجموعة من الكتب،
شعرها الطويل يجرى مع القطار ، جسدها يهتز اهتزازا عنيفا
مع حركته ، بلوزتها البيضاء منتفخة بفعل الريح ، وجهها المستدير
الأبيض كقرص القمر فى ليلة اكتماله عريضة دعوى ضدالانسانية،
يديها تتشبث بحافة النافذة فى خوف متوتر ، امتعض ، تسلل الى
قلبه حزن ثقيل ، لعل الزمن الذى حولنا الى قرود ، فمها الدقيق
مذموم فى سخط ، أنفها يرتعش فى تشنج ، انها معرضة للسقوط،
نظر حوله ، كتلة صماء من اللحم البشرى مهروسة ، مضغوطة ،
مئات من الأعين حيارى تدور فى مآقيها فى يأس ، .. ملعــونة
يا سنتريس يا بلد سارقى الحمير ، مجلة الكاتب مهددة بالتوقف،
دافعوا عن مجلة الكاتب ، ستسقط فى البحر ، أيهــا المثقفون
تكلموا عن مجلة الكاتب ، اهتفوا من أجلها ، هو لم يفكر يوما
فى قراءة مجلة الكاتب ولا يعرف متى تصدر ؟ ولمن تصدر ؟ ،
ولكنهم قالوا — وهو يحتسى الزبيب فى المقهى أمس — أنهــا
مهددة بالتوقف وان السلطة أمرت بذلك ، ضاع مستقبل الثقافة

العربية ، انهدمت أركان الأدب وانكسر شـعاع الفن ، أحس بالغثيان مع شعوره بأن هناك شيئا ما يحدث ، كان الرجل الذى يقف خلفه مبـاشرة قد استسلم للنوم ، رقد فوقه واستغرق فى حـلم جنسى ، حـاول أن يتحـرك ولو خطـوة ، خطـوة واحـدة تنقذه من حلم هذا الرجل المراهق ، ولكن الكتلـة المحيطة به تمنعه ، تبقيه حيث هو ، شعر بالعرق البارد أسفل ذقنه وتيار من النار يلسع قفاه ، رفع يديه الى أعلى ، حاول أن ينحرف يمينا ، صرخ الرجل الذى يقف على يمينه وطالبه بالصبر وعدم الحركة ، أحس الجميع بأنهم أمام انسان مقرف لا يقـدر على الصبر ، لعنوه فى غيظ ، صاح رجل من داخل العربة مطالبا الجميع بالتحمل وضرورة أن يتحمل الأخ أخـاه ، اجبروه على أن لا يتحرك ..

عليه أن يقاوم ، سوف يكتب مقالا عن مقوله الصـبر فى الأدب الشعبى ، .. ولكن هذا الرجل الذى ركب فوقه ، راح يهتز هزا متواليا ومتأنيا أيضا أثار ضيقه ود لو بكى أو صرخ ، أو أخبر الناس من حوله لكى ينقذوه من هـذا .. ولكنه لم يستطع أن يبكى أو يصرخ أو حتى يخبر الناس من حوله بما يحدث له ، أحس بالضعف ، لسـعة العار ، والرجل نائم فوقه يهتز مع اهتزاز القطـار ، يضطرب ، العرق البـارد يسيل على جسده فى ثنوات رقيعة تخرج من مسام الجلد .. تذكر الفتاة التى

يجلس على حافة النافذة ، ضايقه وجودها ، رآها تجلس فى استسلام ، شعرها الذى كان يتسابق مع القطار أصبح مشوشا ، وجهها المستدير استطال ، بلوزتها البيضاء مال لونها الى السواد ارتج القطار بشدة ، كادت تسقط ، تشنجت قبضتها على حافة النافذة تقلصت رقبتها حاولت أن تميل الى الداخل ، يبدو أنها لا تستطيع ، لم يهتم أحد ، عاوده الحنين الى القرية ، تذكر أول مرة ركب فيها جملا ، تذكر فيلم لعبة الموت الذى شاهده منذ فترة ، أحس بالعطش ، تمنى لو أنه جالس الآن فى المقهى يشرب البيرة ، .. يد أمه المعروقة وهى تقبض زمام التور الهائج فى موسم اللقاح .. لفظه القطار فى نهاية الخط ، مضى مسرعا ولم يلتفت خلفه وعندما أصبح فى عرض الطريق أخذ يعدو ..

فى المقهى ، وجده وحيدا ، جلس بجواره ، بعد قليل جاء الساقى بزجاجة بيرة ، تشاغل بالنظر الى المارة فى الشارع حتى يصب له كوبا منها ، سيل المارة لا ينقطع أصبحت الفرجة من المقاهى لا متعة فيها ، طابور طويل متلاحم من البشر لا ينتهى ، كتلة واحدة لا لون لها ولا نهاية بحيث لا تترك للتمايز الفردى فرصة الانفراد والتوحد ، ولهذا فان خبراء الفرجة من المقاهى يشعرون بالأسف والأسى هذه الأيام ، فى الماضى كانت المارة تعبر الطريق فرادى أو جماعات صغيرة ، يمكن للمتفرج أن يفحصهم فردا فردا ، ويقلب النظر عدة مرات لكى يكتشف الفروق

بين فرد وآخر ، هذا التفرد ، هو منبع الفرجة ومتعتها ، ولكن
رحم الله أيام زمان ، ذهبت ولن تعود ، أصبح الشارع لا طعم له،
تكدس بالناس ، امتلأ عن آخره ، انحشر فيه الفرد وفقد تمايزه
وسط الكتلة المتلاحمة الممتزجة ، (فتة) لا تفرق فيها بين الخبز
والأرز ، .. عاد ينظر الى كوب البيرة ، مملوء حتى الحافة ، رفعه
الى فمه وشرب فى نهم ، سمع صديقه يتحدث عن حرب الصحافة
وعن أزمــة الضــمير والمسرح المصرى ، نظر اليه وهو يضــع
الكوب فارغا بعد أن فرغ منه ، عصبيا حاد المزاج مهتاجا أيضا
تتكور الكلمات فى فمه لتخرج متعثرة ، يمص شفتيه ويبصق
على الأرض يتقلب فى جلسته قلقا ، تركه يتحدث طمعا فى كوب
آخر ، .. الثقافة فى مصر ماتت ، الانتشار الكروى طغى على
البقية الباقية فى ينبوع الروض الأخضر للديناميكية المتصاعدة ،
وجده يعتصر من الألم ، .. مجلة الطليعة تناشد أهل التقــوى
لكى ينقذوا الفتاة التى جلست على حافة النافذة فى قطار حلوان،
جريدة الأخبار تشجب مزاعم الجمهورية حول الاندماج الدرامى
الذى قدمه نور الشريف فى فيلم السكرية، هل تسمع؟ .. سوف
نفرد بابا مستقلا للرد على شكاوى القراء من جوائز كل المسابقات،
.. هه .. دار الشعب تصدر كتابا جديدا تحت عنوان الملف السرى
لجوائز السينما ، رفع الزجاجة ونظر الى الكوب الفــارغ ..
دفع عمى عبده الفلاح مائة من الجنيهات كضرائب متنوعة لجابى

المال الميرى هذا العام ثم رقد مريضا من سوء التغذية ، صب قليلا من البيرة ثم توقف لكى يعتدل .. المسلسلة التليفزيونية (بركات يشرب البايب) اعتمد لها اعتمادا اضافيا قدره مليون من الجنيهات لتغطية باقى النفقات ، هل .. ملأ الكوب حتى حافته ونظر ناحيتى وابتسم ، (سحبت الكوب من تحت يده ورفعته الى فمى ، أخذ يهز يدى بعنف ، خشيت على البيرة أن تسيل على الأرض شربتها دفعة واحدة) .. لا يا بسبسه دورك فى فيلم زلبطة أفضل من دورك فى هذا الفيلم قال هذا لزوجته ، الى ن . ن . ن . طلقها وتوكل ، الى كاتب القصة م . م . والذى يكتب القصة منذ ربع قرن حاول أن تقرأ كثيرا لكبار كتاب القصة ، هذه فرصتك الوحيدة - هذا - اذا خرجت من المستشفى !! ..

(سقطت من يدى كوب البيرة ، تهشمت وتناثر زجاجها تحت قدمى ، ظهرت فقاعات البيرة ، منتشرة على سطح الأرض) ، نهض واقفا ، نظر الى صديقه المهموم الذى مايزال يتحدث عن أزمة مسرح البالون ، بصق فى وجهه وجرى مسرعا يتخبط فى أجساد المارة ، لا أحد يلتفت اليه ، عبر الميدان ، الآلاف المرصوصة من الكتب الواردة من الخارج اعترضت طريقه ، كلها تسخر منه ، تثيره .. شىء غريب ان يتحول كل كتاب بلده الى أقزام وأطفال ينظرون الى كتب ميدان سليمان

بانبهار ، شيء غريب .. فجأة يصبح كل كتاب البلاد الأخرى .. حتى فى تجاربهم الأولى أفضل وأحسن .. حتى عيوبهم تصبح تجديدا وتمدينا وتقدما وتطورا و .. بقدرة قادر أصبح كل شعراء البلاد الأخرى أمراء وأسياد البيان ونحن .. ، داس عليها ، نظر اليه الرجل الذى يحرس الكتب وابتسم ، اندفع مجنونا فى الشوارع ينادى على نفسه .. هل أنا فعلا ذلك الرجل الذى .. ؟ ، لا .. يبدو اننى لم أعرف من أنا بعد !!

كانت عربة (الفراخ) تقف أمام الجمعية ، النساء فى طابور طويل متعرج ، والرجال فى طابور آخر ينبع من الزقاق بجوار الجمعية ويصب أمام الباب الحديدى المغلق ، العربة تسد الشارع ، العربة مغلقة ، ترتفع همهمة مكتوفة من بين الصفوف يخرج على آثرها مدير الجمعية ، ينظر الى الواقفين نظرة ذات معنى ، يكف الهمس ، ويسود الصمت ، يستدير المدير ويعود الى الداخل ، يرتفع صوت أحدهم فى تملق ، الصبر يا قوم .. الصبر مفتاح الفرج ، تعلو بعض الضحكات من طابور النسوة ، يقابلها قهقهة مرتفعة من طابور الرجال ، عادت الهمهمة ، يخرج المدير لكى يصدر صوتا غير مفهوم ولكنه يكفى لاسكاتهم ، يعود الصمت ، ولكن الشمس حارة والرأس مملوءة بالهموم ، تكرر خروج المدير لاسكات الرعاع ..

لم يكن هو فى حاجة الى الشراء ، ولكنه وقف

يتفرج ، يتسلى ، كان لون سيارة الفراخ يعجبه ، وقف بالقرب منها ، بعد قليل جاء عامل وفتح الباب الخلفى للعربة ، بدت له العربة من الداخل مثل بنكا للعيون ، مئات من العيون المذبوحة المفتوحة بلا حدود وبلا معنى ، تلكأ العامل وهو يسحب أكياس الفراخ من داخل العربة ، الأكياس النايلون التى تحوى الفراخ تبدو فى ظلمة العربة كجلد حيوان مذبوح ، اقترب لكى يرى جيدا ، سحب العامل بعض الأكياس ، سقط كيس على الأرض ، تلفت العامل لكى يحدد موقفه من المدير الذى كان مشغولا بالتدوين فى أوراق يحملها ، انحنى العامل ليلتقط الكيس ، الصمت يعم المكان ، الواقفون فى حالة انتظار صامت ، اعاد العامل الكيس ، ولكنه ما كاد يضعه فى داخل العربة ، حتى سقط آخر ، نظر العامل فى خوف ناحية المدير ، الذى كان ما يزال مشغولا بالتدوين ، انحنى بسرعة ليلتقط الكيس ، ولكن أكياسا أخرى تدفقت على رأسه وهى تندفع لتسقط على الأرض .. لمع النايلون فى ضوء الشمس ، والأكياس تنزلق تباعا وتسقط على الأرض ..

صرخ المدير فى فزع وهويرى الأكياس تسقط على الأرض، اندفع هو نحو العامل وقيد يديه للخلف وسحبه ، صرخ العامل ، حاول المدير أن يتقدم تحرك طابور الواقفين وحاصروه، نظروا اليه فى صمت حتى كف عن الصراخ . تشجعت سيدة

مسنة وسحبت كيسا ، تلاها رجل آخر ، اندفع الواقفون نحو العربة يتسابقون فى وحشية .

وقف هو وسط المتلهفين على الأكياس وأخذ يصيح .. كل حسب حاجته ، كل واحد .. ، كل ..

دفعه رجل من الخلف ..

فى المســاء كان مازال راقدا على رصيف الشــارع مغطى بمجموعة من جرائد الصـــباح ، بالقرب منــه عربة الجمعية مهشمة ، وأكياس النايلون الفارغة تطاير مع الهواء وتتخبط بين ارجل المارة ، صبى صغير التقط كيسا وأخــذ ينفخ فيه حتى امتلأ بالهواء ، ثم بضربة واحــدة انفجر الكيس محدثا دويا ، ضحك الصبى ، وأخذ يكرر ذلك ..

٢٤/١١/١٩٧٤ (مجلة الثقافة) .

وصف حادث تكرر حدوثه

١٠ ــ مقدمة :

أحب رائحة العيد ، والفجر الوليد ، وشــواء وثريد ، وثوب لابنتي •• جديد ، وأكره الزيف والنفاق والوعيد ، فأنا مهــاجر من قرية قابعــة ساكنة ، لا تشـــعر بأى جــديد ، تهزنا الأحداث ، وتؤرقنا الأحـــلام لأن بالمدنية ــ حيث لم تتعود ــ يصـــطك الحديد بالحديد •• واليوم يوم عيد •• والساعة تدق العاشرة •• وانهارت في لحظة •• مدينة كاملة !!

٩ ــ شارعنا فى الصفحة الأولى بالجريدة :

السيد العتريس يقول ، ينظم الكلمات عقودا ، يتململ فى جلسته المسترخية يعتدل ، يدخن ، يقدح ، يلوك الكلمات ،

والناس تقول ، شارعنا مشهور ، جاء فى الأنباء والصحف ، دارت حوله الأقوال ••

ولكن الناس فى شارعنا يملأ الرعب قلوبهم يتهيبون •• يتلفتون •• يصمتون •• تلفهم سحابات التراب المتراكمة حول المقاعد وأسرة الأطفال ، تدميهم حطام وبقايا زجاجات اللبن •• وذهول •• وسؤال •• هل نجونا ؟

٨ ـ الساعة تدق العاشرة :

لم نسمع دقات الساعة ، علمنا من الأخبار •• انها كانت تدق العاشرة ، وان كنا لم نتأكد من ان الساعات فى بيوتنا قد دقت فى الأصل ، •• فالأمر خطير جعل كل منا يشعر بنفسه لنفسه •• ، وأنا ••

ميديا كانت معى ، والجو مضىء ، وعينى تسرع خلف الكلمات •• (لا مفر من أن يذوقا كأس المنون ، هذا قضاؤهما المحتوم •• هيا أيتها اليد الشقيقة امسكى بالسيف ••) أيتها المجنونة ميديا ، هل توقفت عن القتل ، لقد بدأت سلسلة مروعة من القتل •• الأب الأخ •• حتى الأبناء ، يالك من غول مجنون بالموت •• ظلام •• ارتعد •• تصطك الأبواب والنوافذ ، تضطرب الأرض ، تميد تحت قدمى ، أصوات كالرعد ، شلالات من الزمجرة الكونية ، غبار ، زلزال لم نشهده من

قبل ، •• الشهادتين ، أقر واعترف بأني اخطأت •• حانت ساعة الحساب •• لن أكتب بعـد الآن •• استراحوا منى رؤسـاء التحرير وكل الزملاء •• تمددت على فراشي •• ان كان الأمر لابد •• ليكن هنا ولا داعى للخروج ••

مضت لحظات •• أعوام •• سنوات •• أيام •• يعود للدنيا الثبات •• جريت افتح الباب •• دخان •• عاصفة من التراب ، أعطس •• أسعل •• أغلق الباب •• أعود •• أتذكر الأطفال •• صراخ •• ماذا جرى ؟ •• ها •• عادت الحـرب وحشية هى ، ملعونه •• تأتى فى الأعياد ، قدر مكتوب ، الحرب سلام الرب الى الأرض ، نجرى •• الجو تراب ، الهواء تراب ، أصوات مكتومة ، فزعة ، نهرول •• تتقابل على السـلم •• اشعلوا شيئا •• لا توقدوا النار ، الغارات •• ماذا حـدث ؟ تتصادم الأصوات لا أحد يجيب ، الكل يجرى نحو الأرض ، الرجل مريض •• الطبيب يقول ان تحرك ، مات الرجل يهبط السلالم •• الحب حيـاة •• نهبط •• نهرول •• نجرى • نصرخ •• نصبح فى الشارع الخلفى •• الهواء نقى ، رطب •• هدوء •• ماذا جرى ؟

٧ ـ السوق :

فى شارع السوق ، كانت الأخبار تقال فى هدوء ، الحياة تمضى ليلة يوم العيد فى كسـل ، يتناقلون الخبر فى لذة ••

العمارة جلست يا أبى .. قالتها صغيرتى وهى تمضى معنا دون خوف ، كدت أضحك .. أصبعها الصغير يرتجف من البرد ..

اضافوا تفاصيل كثيرة .. وعندما اقتربنا من بيت أقاربنا .. كانت التفاصيل قد اكتملت .. وقعت العمارة رقم ٣ .. العمارة مكونة من أحد عشر طابقا .. العمارة .. العمارة تفاصيل .. تفاصيل تروى فى سخرية ممزوجة بلا مبالاة هادئة .. ويلمع البرتقال تحت الأضواء .. ترقد أميرة على غلاف المجلات .. و .. (لقد كنا نشعر بالبرد الممزوج بالخوف) .. و .. ونتقدم فى خجل ونحن بملابس النوم لندق على أقاربنا الأبواب ..

٦ ـ الانقاض :

تلمع أضواء الكشافات ، تتغرز فى الكتلة الترابية ، تفور الدومات الدخانية كأبخرة صاعدة من جوف الأرض ، تندلق العربات .. تموء القطة السوداء ، .. راقدة هامدة .. كتل فى مدينة صماء ، تتجمد عروق اليد اليمنى ، تختنق الأنفاس تتشبث يد عذراء بحفنة تراب .. الخسائر أموات ، تلمع أضواء الكشافات ، تعمل .. تدق .. تعلن وكالات الأنباء ، والدهشة البلهاء تعلو جباه رجال الدرك ، وكأن الأمر لم يكن فى الحسبان ، ويضيع تحت الانقاض أمل رجل مات ..

٥ ـ الناس فى شارعنا يقولون :

قال الزبال .. والعطار ، وبواب العمارة رقم أربعة .. والبقال ، قال : قال الراوى قال .. ان الرجل يقيم عمـــارة من رمل وتراب وحجـــارة ، قال الراوى .. قال .. ان البيع شطارة .. خرج وعطارة .. واعــلان فى المذياع ، وعلى رأس الحارة والدنيا امارة .. اشربوا .. كلوا .. دخنوا .. فالدنيا كأس و ... سبجارة .

قال الراوى قال .. ان الناس فى شارعنا عرفوا ان المال حرام ، وان سقوط العمارة وارد لا محالة ..

لكن الراوى يقول ، ماذا يعرف أهل الحارة ؟ التصريح صريح ، صادر ووارد ورقم صحيح ، معتمد وموقع من أهــل الخبرة والتصريح ، ولا داعى لكلام فيه غش أو ســوء نية أو تجريح .. لأن التصريح صريح . ماذا يفهم البقال فى أمر يبعد عن الطرشى والخيار ؟ .. ماذا يفهم عطار أو زبال ، أو جزار أو نجار فى التشييد والتعمير ؟ .. فهم .. يفهم .. مفهوم .. معلوم .. مهموم .. مظلوم .. ظالم .. مظاليم .. مفاعيل . شارعنا المسكين عليل .. يحتــاج الى ألف خبير وخبير ، لأن الراوى قال .. ان الزبال كان على دراية بأمر خطير ، ولأنه قد تنبأ بسقوط العمارة ، فهــذه دلالة وامارة ، على أنه صـــاحب

فكر وتدبير ، يعلم فى الغيب والاسرار والأحلام •• وهو عليم خبـــير ، اسألوه عن سر الأسرار متى تلد القطـــة والعنزة والحمار ؟ •• اسألوه فقد أثبت انه خبير ••

٤ ـ شارعنا المشهور :

أين تذهب هذا المساء ؟ •• أفضل العطور للنساء ، فى ليلة رأس السنة رقص وخمر وعشاء ، •• ادخل من ثقب فى جدران الاعلانات ، شرطى يرتعد من البرد ، يسقط البرد والفقر وليل الشتاء ، تسقط الجدران المرصوصة ، انظر فى كومة اشلاء •• واتسلل عبر النفايات ، أرفع رأسى ادعو الله ، •• أخاف •• أتذكر عفاريت الموتى القتلى، ارتعد، أتوقف •• أراه •• يستلقى فى نشوة فوق التراب ، اتحرك •• اقترب •• اتشجع •• أشعر بالبرد •• تمددت زواياه القائمة • أشعل أحدهم عود ثقاب •• تراقصت على سطحه عرائس الأضواء ، الخفير يدخن •• يشعل •• يبصـــق •• اتشجع •• الشــــجاعة جماعة •• اقترب • ها •• انه خزان الماء ••

خزان الماء يرقد فى عافية وسلامة ، فقد سقط من الــدور الحادى عشر فى أمان ، صانه التراب الناعم وحفظه من الاهانة•• أعمــار ؟!

ولأن شارعنا مشهور ، جرائدنا تقول •• أن الحاجة تقول•

ان اللجـان تقول ، ان السبب المنظور الواضـح للعيان أمام الخبراء هو أن •• الضلع القـائم فى الزاوية اليسرى من المربع الخارج من المثلث المنفرج أحدث انكسارا حلزونيا متوترا أدى الى تحطيم كتلة المقاومة تتج عنه تهتك فى جدار •• المرارة •

٣ ـ القتل :

صـاح الرجل ، لا فض فوه ، اقتلوه ، هلل •• صفق •• صور •• انتفض •• أذاع •• نشر •• قال الناس اقتلوه ، قال هذا مع أن القتل جريمة ، الكذب جريمة •• الغش جريمة •• الخديعة جريمة • ظلم • يظلم • ظالم • مظلوم • من يقتل من ؟ سألوه •

القتل دم ، الدم حياة ، والحياة حب ، والحب مساكن ، والمساكن هدم والهدم تراب ، والتراب أرض •• والأرض منافع ، لا تقتلوه ، فالظالم أعم •• أهم ••

ارفعوه •••

٢ ـ تفاصيل ضاحكة •• حتى لا تغضبوا :

١ ـ بعد أيام من بناء العمارة :

قدم الى شارعنا السكان فى عربات جمركية ، تحمل ثلاجات ذات أربعة أبواب ، ومكانس ومطابخ انسيابية ، ومقاعد

وتحف ، وأسرة ونجف ، وهبطت الفتيات •• آنســات ســيدات •• ورد •• ورد •• روائح عطـرية ، وتوالت العربات جمرك السلوم وجمرك اسكندرية •

٢ ـ سكان العمارة :

فتيات •• ســيدات •• ضاحكات ، لابســات ، رائحات غاديات ، راكبات آتيات •• والتعلب فات فات •• والذئب مات •• ناس بشوات •• البلح أمهات •• ويسألونك عن الجن •• والسلوى والمن •• ياكيدهن •• سلامات •• عسكرى الحراسة واقف على الباب •• أهلا بلديات ••

٣ ـ أم عبده لم تمت تحت الانقاض :

ضحكت أم عبده من أسئلة محررى الجرائد ، واستمعت الى شكوى سائقى عربات الانقاذ لأنهم لم يتناولوا الغداء كما أمر المحافظ ، اضرب العمال عن العمل •• ضحكت وهى تقدم لهم الشاى •• أم عبده كانت ترقد ، كما تفعل فى كل ليلة ، على رصيف وتراب الشارع •

٤ ـ الحذاء :

الجزمجى أخذ الحذاء لكى يصنع له كعبا جديدا وأخــذ الأجر مقدما ، عاتبته لأنه يعاملنى معاملة الغــرباء ونحن

جيران •• الجزمجى مات تحت الأنقاض وضاع حذائى••
والآن أنا أسير حافيا لكى أقدم شكوى •

٥ ـ شكوى •• وفقكم الله الى ما فيه الخير •• الأمر لم يعد يحتمل تقرير اللجان ، فان العمارة الأخرى •• هكذا قال الزبال •• ستنهار •• نرجوكم ازالتها قبل أن •• توقيعات• الحاج أنيس •• دكتور •• اللواء •• المعلم •• سيد أحمد • عتريس •• محمد • أحمد •• وقع • توقع •• توقيعات

١ ـ شرح بعض الأمور :

ليس من الميسور ، على كل قلب جسور أن ينادى فى البرية •• يقول ويثور ، لأن الحياة كفاح •• سفاح •• لا تترك أحدهم يرتاح •• ذلك معلوم منشور ، وقد قرأنا آلافا من البرقيات عن حروب الوفيات ، والتى يموت فيها الأموات ، لأن الآمر لا يثير الأشجان ، فان الزينات تعلق فى اليوم التالى ••• وتوزع أكواب الشربات •

صفر ـ شارعنا يضحك من قلبه :

شارعنا المشهور ، بعد أن احتل أعمدة الصحف لمدة كافية امتدت الى شهور أحس بالملل ونام ، ولكنه قال قبل أن ينام،••

أيقظونى عندما تأتى عربات الانقاذ الى شـارع آخر •• حتى أشاركهم كما شاركونى •• ولقد ضايقتنا هذه الجملة كثيرا ، فإن لى أصدقاء يسكنون فى شوارع كثيرة تبعد عن شارعنا •• ومن يومها وأنا أترقب فقد أحدهم •

أحب رائحة الأصدقاء ، الأوفياء ، الانقياء ، وأترقب ــ بلهفة ــ موعد اللقاء ••

• ١٩٧٥/١/١٥

يسألونك عن .. الخوف

أول الشهر سراب :

طفلى الصغير يصرخ فى الصالة :

ـــ أكل الذئب الحمل .

ـــ أكل الذئب ..

ـــ أكل ...

أكل ، يأكل ، مأكولات ، عنب وبلح أمهات ، التعلب فات. فات ، الجنة تحت أقدام الأمهات ، .. يا أمى العالم يظلمنى ، يصفعنى .. لا أشعر الا بالصدمات والظلمات ، أنوء تحت ضغط الحاجات ، أود أن أصرخ ، أن أمزق ثوبى ، ان اخرج من كهف الحاجة ، ان اتحرر من الأرقام .. من يوم يعدو خلف

اليوم ، والعمر ســاعات أود أن أطويها ، أول الشهر سراب ، أتمناه ، أتلهف عليه ، انزع اليوم بعد اليوم •• فاليوم مولود مفقود ، وللأعمار حدود ، لكن الدين — يا أمى — هم بالليل وذل بالنهار •• أكل الحمــل الذئب أكل الذئب الذئب ، أكل الذئب الكلب •

*** الساعة الخامسة من مساء يوم السبت فى ميدان الأزهار :**

أخذتنى زوجتى الى الطبيب ، كان خطاب المؤسسة صريح•• نرجو توقيع الكشف الطبى •• ، من حقك أن تبقى ما دمت قويا ، فالقوة سلاح يفتح لك باب الأوتوبيس ، يفسح لك مكانا فى العمل ، يحميك من هجوم الجرزان والديدان وألسنة السوء وزحام الطوابير •• فالكثرة طوفان ، تبتلع ارادة انسان يؤمن بالانسان ، تطحنه ، تؤذيه ، تدوسه الأقدام ، والويل لك كل الويل من قصر الطول وضعف البصر ، فالكثرة لا ترحم الضعيف ، والمريض جبان ••

— ينقصه خاتم المؤسسة •

— ولكن ••

— أرجوكم •• انظروا خلفكم ، كل هؤلاء !! ، شاب يدخن ، امرأة ، رجل ، صبى ، كهل ، •• ناس •• ناس •• فى الوسط مجموعة مجلات ممزقة ، وعلى الحائط دبلوم دراسات •• رسم

الكشف خمسة جنيهات •• القناعة كنز •• برواز مصقول •• زوجتى تناقش المساعد ، تبتسم •• تغضب ، تدس فى يده ريالا • يدها معروقة جافة ، هى عجوز فى الثلاثين ، مهدودة مكدودة ، تحمل هم الأطفال ومواعيد الحضور والانصراف ، يشغل بالها ارتفاع سعر الاجازات ، •• كدت أختنق ، لابد من خاتم المؤسسة ،

خرجت :

* **الساعة التاسعة من صباح يوم الاحد :**

اللون الأصفر هو اللون الزاحف ،: •• عيناك سوداوان واسعتان تجذبنى ، تشدنى ، تجلب الى رأسى قصص الحب ، انظر •• أراهما •• أعانق اللون الأصفر ، تصطبغ أذناى باللون الأحمر ، ارتجف ، أخاف ، أسحب بصرى ، أتلفت •• الزحام شديد ، بائعى الجرائد كسالى ، على الأرض وقع عنوان الجريدة •• مباحثات •• سفريات •• حوادث وفيات ، معى عشرة قروش اليوم الواحد والعشرون •• أرغب فى التدخين • زحام • اليوم بقرش •• أكره الزحام والحاجة والعوز •• والأحلام ، تحاصرنى الرغبة فى الجنس الآخر •• تتلصص نظراتى على الأرداف •• اللون الأصفر ينتصر •• يعم •• يملأ الشارع •• رائحة الدخان ينفثها بائع سودانى منهمك فى البيع ، كل العمال لا يلذ لهم

التدخين والا وهم يعملون ، انفجرت أنبوبة غاز وأتى حريقها
على كل ما أحاط بها ، أنا لا أخضع للنزوات ، أرفض القهر
والاستعباد •• أقاوم •• احاول المقاومة •• انهزم •• أنسحب
من زحام المحطة أعود •• اشترى سجائر بكل القروش العشرة
اكتب •• ملازم الفراش اجيزونى ••

*** الساعة التاسعة من مساء يوم الأحد :**

للصبر حدود ، والنظر الممدود ، وأمام الحاجات سدود ،
والقرش الأبيض لا يأتى •• لكن الأيام السود تعود •• تزحف،
تتمدد ، تبسط سلطان القهر على فراش الزوجية ، والحب وعود
وعهود •• واليوم الواعد ، لا يأتى ، والنوم حرام ، على قلب
ولهان ، يحلم بالوصل قريب ••

اتململ ، اتقلب ، أرفع وجهى ، اصغى ، أحك ذقنى ••
أستحلب لذة خاطر أو مشروع حلم ••

أجلس ، أتمدد ، والنوم بعيد •• بعيد ••

*** الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين :**

تحسس صدرى ، قلبنى بين يديه ، مصمص شفتيه ، ••
أنت حصان أرعن ، ولكن •• تحتاج الى خبير •• فعقلك به مرض

خطير ، •• يحول الى •• الطابور طويل ولا كلمة تفسير ، ••
اذهب فلا وقت تضعيه ، لكن ••

— مرضك خطير •

— كيف ؟

— سيقولون لك ••

جذبتني زوجتي ، خرجنا من الزحام الى زحام •• ارحمنا يرحمك الله وأعطنا مما أعطاك الله ، نندفع تلاطمنا أمواج الناس، نرغب في العودة ، نحلم بالبيت ، نصمت •• تنظر الى زوجتي •• لا وقت ولا مكان للحديث ، لا تخف فمرضك •• انظر اليها •• أعلم بحزنك ، أخشى عليك ، الوحدة باب مفتوح ، يدخله كل الناس ، نقف •• نبحلق لا سيارة ولا أتوبيس ، فالزحام رهيب •

※ الساعة التاسعة من صباح يوم الثلاثاء :

أرقب من خلف الزجاج الملابس المغسولة ، أشعر بالراحة وأنا أرى الهواء يلاعبها ، ترتمي عيناي على أحبال الغسيل ، تحتضن الملابس البيضاء والحمراء والصفراء ، أتخيل أجسادا عامرة بالصحة ، تتواثب في حيوية ، تتراقص في وحشية ، تذوب رقة وهي تلهو ضاحكة فوق الأسوار ، والشمس أنيسة ، جليسة على نوافذ وأسطح المنازل •• امرأة تعدو وتروح في شرفة مجاورة ، ابتسم •• أضحك •• أهرب من

النظر اليها ، أنسحب الى داخل الحجرة ، أشعر بالوحدة ..
أجلس مهدودا منحطا وسط الغرفة ، ذبابة تحط على يدى ،
تسير فى اضطراب نحو أصبعى الأوسط ، تهدأ وتمشى فى تمهل،
أشعر بدبيب أرجلها ، تدور حول خصلة شعر فى منتصف
العقلة الأولى ، تخترق غابة الشعر ، طارت فجأة .. لو أنها مضت
خطوة واحدة لطردتها ، وكأنها أحست برغبتى فتركتنى وحيدا ..
الصمت يحط على البيت ، يطن فى أذنى ، يخترق عظام الجمجمة.
لو أن المرض خطير ما كنت شعرت بها ، أقف .. أراها على حافة
النافذة ، تهرب منى ، أطاردها ، تهزأ بى ، أكرهها ، ولكنى لم
أضعف الى هذه الدرجة . تحط على حافة كوب فارغ ، دعها لكى
تقع فى المصيدة ، لابد من قتلها ، انها تتلاعب بى ، تتشمم بقايا
الشاى ، تنحدر الى داخل الكوب ، تتراجع ، أنا ما زلت الأقوى
.. لا يمكن أن تهزنى ذبابة على هذا النحو .. تدور حول نفسها،
تطير ، تستكشف ما حول الكوب ، تحط ثانية على حافته ،
تدخل خلف آثار الشاى ، تندفع الى الداخل تسرع .. أهوى
بيدى لأحكم أغلاق الكوب، تنفجر الكوب ، تتناثر شظايا الزجاج،
الدم يسيل من كفى ، الملعونة تطن بجوار أذنى ، تحط على طرف
الأذن ، تلطمها يدى بقسوة، أترنح، أتخبط، والذبابة تحاورنى،
الغيظ يفتك بى ، تحط على أنفى ، تطير فجأة قبل أن تصل
قبضتى اليها ، ألطم أنفى ، تشتعل النار فوق العينين ، تدور

حـول رأسي ، أشـعر بالقهر وانسحب من مطاردتهـا ولكنها لا تتركني •• أجرى الى مكان آخر ، وأراها أمام عيني ، أرقد ، أتدثر ، اشعر بها تحت ذقني ، اجرى نحو الحمام ، أخلع ملابسي يندفع الماء ليغطى كل جسدى ، ولكنى أراها ترتشف الماء فى سعادة وتطير حولى ، أرتجف من البرد •• انها ترعبنى •• أجرى هنا وهناك ، أتحرك أحرك يدى فى قتال مجنون •• تعبت •• و أرقد منهوك القوى ، أستسلم ، •• تسألنى عن الخوف ؟ •

أراها تغرز أنيابها فى عينى •• تمتص دمى ، تغنى فى نشوة، وأنا راقد عارى الجسد لا قدرة لى ولا طاقة لكى أدفع عن نفسى ذبابة •• ويسألونك عن الخوف •• قل الخوف •• الخوف •• الخوف •

٢٨/٢/١٩٧٥ (مجلة الهلال)

* صورة من الاقرار الكتابى :

أنا الموقع أدناه محمد عبد الرحمن المراكبى البالغ من العمر ٤٠ عاما ، والقاطن بسكة السلطان بدرب الشكعة المتفرع من شارع السد الجوانى التابع لقسم شرطة مصر القديمة ، والعامل بمطابع خلفاء أولاد بركة .. الكائنة بشارع الأزهر — أقر بأن كل ما جاء فى تحقيق الشرطة المرفق أمليته بنفسى وبكل حريتى ودون ضغط أو اكراه ، وأننى أعترف بكل كلمة جاءت بالتحقيق المشار اليه ، وقد اعترفت بوازع من ضميرى واحقاقا للحق .

(ملحوظة : يلى ذلك توقيع محمد عبد الرحمن المراكبى ثم مجموعة من التوقيعات والتاشيرات وخاتم الشرطه)

✻ **جزء من محضر تحقيق الشرطة !**

س : هل قمت بطبع هذه الأوراق بمعرفتك ؟

ج : نعم

س : وهل كنت تعلم بأنها مزورة ؟

ج : نعم ولكن ..

س : يا محمد .. الاجابة على قدر السؤال ، أجب بنعم أو لا دون استخدام كلمة لكن .. هل هذا مفهوم ؟

ج : نعم

س : وكنت تعلم بالضرر الذى تسببه تلك الأوراق المزورة ؟

ج : يا حضرة الضابط أنا لم ..

س : نعم أم لا ؟

ج : نعم

س : ولماذا لم تقم بابلاغ السلطات عندما علمت أنها مزورة ؟

ج : يا أفندم أنا ..

س : بلغت الشرطة ؟

ج : لا

س : أنت متهم بأنك استخدمت مهارتك الفنية ودرايتك فى فن الطباعة فى تزييف أوراق ذات حساسية خاصة ، مما نتج عنه ضرر بالغ للصالح العام ، كما نتج عنه التشكك فى

الأوراق الصحيحة . بحيث تعذر معرفة الصواب من الخطأ، وقد ..

جـ : أرجوك ، أنا لم أفعل ذلك من نفسى أنا ..

س : أنت الآن تعترف بأن لك شركاء ؟

جـ : نعم

س : من هم ؟ اذكر الأسماء والبيانات بكل دقة ؟

جـ : يا أفندم ..

س : ممتنع عن الاجابة ؟

(ملحوظة : استمر التحقيق فى قسم الشرطة حتى العاشرة من صباح اليوم التالى حيث تمت أقواله وتليت عليه ووقع عليها، وهى تقع فى مائة صفحة من حجم الفولسكاب) .

** من محاضر التحقيق فى النيابة العامة :

بعض ما جاء فى أقوال أحد الشهود :

س : بصفتك خبيرا فى هذا الشأن هل يمكنك معرفة حقيقة هذه الأوراق ؟ (اطلعناه عليها) .

جـ : ان الشكل العلمانى ، من الناحية العامة ، وكذلك البحث عن المضامين ذات المدلولات الايدلوجية ، من الناحية الخاصة ، وبالاضافة الى استخدام التحليل الدياليكتيكى، بعد دراسة سلسلة الحوادث المؤسفة التى توالت بعد ذلك

وكانت السبب المباشر فى توالى اندفاع الأحـداث ، فان الأمر يصـبح فى غاية الخطورة نظرا لأن هذا ، يعنى ، بداهة ، ان التدفق لم يكن عفويا ، بل أن ..

(ملحوظة : استمر الشاهد فى الادلاء بأقواله التى استغرقت خمسة عشر فولسكاب حتى منتصف الليـل ، ولم نستطع استخلاص أكثر مما أوردناه) .

من اقوال شاهد آخر :

س : ذكرت فى أقوالك أن المتهم محمد عبد الرحمن المراكبى لم تظهر عليه علامات الثراء الفاحش ، فكيف تفسر ذلك ؟

ج : ثراء فاحش !! أنا أخبرت سيادتك بأن محمد مدين لى بخمسة عشر من الجنيهات أخذها منى عندما ماتت أمه فى العـام الماضى ولم يجد ..

س : ربما تظاهر أمامك بقلة المال لكى لا يثير الشكوك من حوله؟

ج : محمد صديقى منذ أن كنا أطفالا .. وأعلم عنه كل شىء حتى دون أن يتكلم .

س : هل تشك ..

(ملحوظة : استمر التحقيق مع الشاهد ولكن دون معلومات جديدة أو معلومات ذات أهمية) .

* من تقرير ادارة المعلومات المدنية :

(•• وانه لذلك قد سافر الى البلدة (س) ومكث بهـا أسبوعا ، وقد أثبتت التحريات التى قام بها جهازنـا الفنى ، التابع للمركز السابع بأن محمد عبد الرحمن المراكبى كان يشترى مسحوقا يشبه فى لونه وشكله الدقيق الأبيض ، ويصنع منـه بعد اضافة القليل من السكر كرات صغيرة يدمن ابتلاعها كل مساء ، وقد جربنا تأثير احدى هذه الكرات ـ بعد أن استطعنا الحصول على احداها بطريقة ما سوف نذكرها فى تقرير مرفق ـ وقد نام الفرد (ل) يومين كاملين وعلى الرغم من هـذا فاننـا لاحظنا بعد مراقبة المدعو محمد عبد الرحمن المراكبى انه لا ينام على الاطلاق وقد استمرت مراقبته خمسة أعوام ، هذا •• وقد ورد الينا من المركز العاشر وبناء على تكليف المركز الرئيسى ، أن المسحوق الأبيض لا يستورد من الخارج بل يصنع فى قرية (ع) التابعة لمركز (ص) وتصنعه احدى النسـوة العجائز ، حيث يبتاعه الرجال لأغراض خاصة بالحريم ، ونظرا لأهمية هذا الأمر فقد تم تكليف لجنة من الباحثين لوضع تقرير فنى فى هذا الخصوص ولكن نتائج التقرير لم ترد بعد ، هذا وقد ••)

(ملحوظة : يتضمن التقرير ، بعد ذلك ، الكثير من الطلبات الخاصة بالمكافآت المطلوبة للرجـال الذين تعـاونوا فى الادلاء بالمعلومات وكذلك بعض التكهنات التى تدور حـول خطـورة

التقرير عاليه ، وفى النهاية مجموعة ملاحظات حول تعويق النيابة العامة بسبب الاجراءات التى يقوم بها بالمركز ومنها تمسكهم بما يسمى الاجراء الشكلى) •

*** من التقارير الفرعية المرفقة :**

(•• حيث أن الأشياء التى وردت فى شكوى المواطنة التى تدعى انها زوجة المتهم غير ذات بال فقد وافق السيد المراقب على اهمال ما ورد بالشكوى ، وابلاغ الادارة العامة للتصرف حيال المذكورة ••)

*** خبر منشور فى جريدة الاخبار بتاريخ ١٤ مايو ١٩٦٧ :**

(•• والحفل السنوى الذى يقيمه مطربنا العاطفى ، والذى يستعد له منذ عامين ، سيكون ــ كما قال ناقدنا الفنى ــ قنبلة الموسم ، وسوف يحضر الحفل الكثير من الشخصيات الكبيرة)

*** من مكالمة تليفونيــة جرت فى حجرة من حجرات راقصة فى كباريه بشارع الهرم :**

ــ نعم !! •• أنا أملك الدنيا كلها ، انهم جميعا خدما لى ، سيكون لديك فى الصباح الباكر ما تريد ، •• ولكن أرجوك أن تضع مبلغا صغيرا فى البنك تحت رقم ٨٧٦٥ ، وآخر فى حساب ••

(ملحوظة : لم نستطع نقل المكالمة بالكامل لأننا لا نقدر نقل كل الكلمات بأمانة نظر لتربيتنا الريفية)

*** من منطوق الحكم :**

(.. لهذا فقد قررنا تطبيق المواد السابقة الذكر على المتهم محمد عبد الرحمن المراكبى .. تحول أوراقه الى المفتى ..)

تقع حيثيات الحكم فى حوالى مائة وواحد من صـفحات الفولسكاب وتحتوى على الكثير من أرقام المواد والمصطلحات القانونية ..)

*** اخبار منشور فى الجرائد جمعتها من عند البقال :**

(.. أحمد رفعت المحامى يطلب اعادة التحقيق فى قضـية التزوير ــ الاخبار ــ ٢٢/١/١٩٧٤) .

(.. المدعى العام يشيد بسيادة القانون ــ الأهرام ــ فى ٢٥/٢/١٩٧٤) .

(خبراء المجلس الأعلى يقررون عدم وجود تزوير بالأوراق ــ الجمهورية ٣/٣/١٩٧٤)

(المدعى العام يأمر بأعادة التحقيق فى قضية التزوير ... الأخبار ٥/٣/١٩٧٤)

(اختفاء ملفات انتحار المشير وانحراف جهاز .. الأهرام ١٤/٥/١٩٧٦)

* ما جاء فى صفحة الوفيات بجريدة الاهرام :

(تشكر أسرة المراكبى وغطاس كل من تفضل بمشاركتها فى ايحاء ذكرى عميدهـا المرحوم محمد عبد الرحمن (باشـا) المراكبى سواء بالحضـور أو البرق ، وتخص بالشكر كل من السادة ..

* أشياء لم ترد بعد فى الجرائد ، وهى تخصنى تماما :

(عندما خرج العم الطيب من الحارة ، ظن الذين يجلسون فى المقاهى أن الحارة خالية الآن ويمكنهم الاستيلاء عليها ، ولكن أهالى الحارة كانوا قد تدربوا سرا على المقاومة ولهذا فقد وقفوا أمام دورهم فى عناد وصبر ، ولكن المستشـار القانونى الذى أشار من قبل بقانونية وجودى عاد وأشار الآن بعدم قانونية هذا الوجود ، ولهذا أمر رئيس البيت الذى اقطن فيه بطـردى .. وعندما ذهبت الى عمى العزيز قال :

— هل انت انسان ؟

* قصاصة ورق لا يظهر فيها سوى هذه الكلمات :

(.. وان التداعى المنطقى يجعلنا نستعيد فى الذاكرة تلك القسوة المتعمدة فى وضع مبررات تكنوقراطية لرفع التنظـير القومى ..)

انه الحق أقوله لكم ، انه الحق أقوله .. انه الحق .. ، انه ..

١٩٧٦/٥/١٥

أصدقائى كانوا يعرفون ، أما هى فلم تعرف ، وعندما ذهبت اليها وهى تتمشط فى ليلة الحنة ، بلعت ريقى مرتين وقلت لنفسى أشياء كثيرة ..

وعندما كنت أعبر الحارة ، مخترقا أكوام السباخ وتجمعات الأطفال والأوز ، كان وجيب قلبى يرتفع عندما اقترب من ديارها، وأشعر أن نساء الحارة يعرفن سرى ، وانهن يخرجن ، تاركات قدور الطعام على الكانون ، ويتطلعن الى جبهتى والعرق يبللها فى شهر طوبة ، يحدث كل هذا كلما عبرت الحارة ..

لم أحاول كتمان ما فى قلبى عن زملائى فى المدرسة عندما حاصرونى بالأسئلة ، وراحوا هم يتناقلونه فيما بينهم ، ويذيعونه على الآخرين ، حتى هؤلاء الذين كانوا يأتون من قرى أخرى غير

قريتنا عرفوا بالسر ، وتناقلوه هم أيضا فى قراهم ، بل ان الأمر أشيع فى المدينة التى تقع فيها مدرستنا ، وعرفه بائعوا البطاطا والترمس والسودانى وكذلك عم أحمد بائع البليلة ، وأيضا ، الرجل الأصلع الذى يقف فى مكتبة محمد الأشول ، وهو الذى قصها على ابراهيم الحلاق ، ومن خلال هؤلاء عرفهـا بعض السكان فى المدينة الكبيرة ..

وهكذا أصبحت حكايتى مع (وجيهة) منتشرة ، ومعروفة، وكأنها أحد فصول ليلى والمجنون ، ماعدا (وجيهة) لم تعرف به ، ولم تسمع عنه ، ولم تشعر بهذا الأمر كله ..

كانت وجيهة مفعوصة داخل دارها الواطئة ، لا تخرج منها الا قليلا حيث تتربع على أول درجات السلم الذى يصل دارها بالحارة ، تتكور وتتكوم ، فى صمت ، المحها بعد أن أكون قد مشطت الشارع روحة وجيئة ، ويرتفع وجيب قلبى ، ويتدفق الدم الحار لاسعا قفاى ، وأبرطم بكلمات لا معنى لها لا تكاد تخرج من فمى ، وعندما يأتى (شندى) لكى يشعل فتيل المصباح التابع للمجلس القروى على رأس الحارة تدخل وجيهة وتختفى فى ظلام دارها ، وأعود أنا لكى أعاود قراءة كتب المنفلوطى ، وليس لوجيهه أخ شقيق ، أناوشه الأمر وأتحايل عن طريقه لكى أدخل الى محراب حبيبتى فقد كان لابيها تورته بنات ولا ولد له.

وأيام القرية تمضى ، والقصة لا تتطور ، وأنا لم أتحول

عن حبها ، وهى لم تعرف بهذا الحب ، حتى جاءت ليلة الحنة ، وجلست وجيهة بين أترابها ينشدن أغنيات القرية المهجنة بأغانى الراديو ، و (رمانك طاب يا ليلى) و (يا حــلاوتك يا راكب العجلة) وهن يلطخن أيديهن بمعجون الحناء ، ويقرصنها فى ركبتها .

دقات الدف ترتفع فى نقرات حادة ، اقترب أنا من ديار الحبيب والشوق يهد كيانى ، والجوى يكوى قلبى ، يشدنى الفرح بضجته ، وتعوقنى ارادة مشلولة ، ونفس غارقة فى حزن الفراق ، واقتربت من الديار الــواطئة لحبيبة قلبى ، وزغــرودة تخترق عظام جمجمتى ، وأسرع نحو البحر ..

هناك وجدت خالها العزيز ، فتى يكبرنى قليلا ، يتطفل على صداقتنا نحن الأفندية ، نصده فى حزم ، يعود هو الينا فى تذلل من أجل وجوده داخل جماعة تعرف كلمة دوفكى يتحمل مرارة السخرية ، ولكن ما أن رأيته فى هذا اليوم الا وانقلب فى نظرى الى بر الأمان ، أمسكت به ، أحكى له قصة حبى وأنا أتوسل اليه أن يتيح لى فرصة رؤيتها ولو لمرة واحدة ، أتزود منها بزاد ينفعنى حتى آخرتى ، وبكى الرجل الهمام ، أو تخيلت أنا أنه بكى ، وأقسم أن يأخذنى اليها فورا ، ويعاتبنى وقد أخفيت عنه هذا الوجد الذى أحمله لابنة أخته ، لو كنت أخبرته من قبــل لاستطاع أن يفرض سطوته على أهلها ويرغمهم على تزويجها لى ،

ولكن ماذا فى يده الآن ، وهذه نتيجة عدم حماسنا بصداقته .

واتجهنا الى الدار ، هو بحكم خالها ، وأنا بحكم صديق خالها العزيز ، وطرق الباب ، فلم يستجب للطرق أحد ، فدفع الباب بقدمه فى قوة ، وتقدم هابطا الدرج ، وأنا خلفه وقد تحول هذا الولد فى عينى الى جنى الحكايات ، وانه سوف يفتح لى قصر اميرتى ، وانه يرتب لى حصانا ولجاما عصا أشير بها فاذا بى أنا وحبيبتى طائران فوق السحاب ، سحابة تحطنا وسحابة تشيلنا حتى نصل الى جزيرة الذهب وهناك نجد قصرا ، فخما ضخما ، مملوءا بالجوارى والعبيد ، وموائده عامرة باللحم . الأم تتجاهل يدى الممدودة للسلام ، اذهب خلف الخال لكى اسلم على العروس ، وأبارك زواجها من منافسى الحلاق الذى سيأخذها معه الى مصر ، حيث يعمل ويطعمها العيش القمح ، ويشترى لها كل يوم طبقا من الفول المدمس ، ولن يدعها تنتظر يوم الخبيز لكى تأكل المدمس ، وربما أخذها معه الى السينما تترى هناك العجب ، وربما كان كريما فيأخذها ، يوم جمعة ، الى سيدنا الحسين ، والسيدة زينب ، ويطوف بها مشايخ مصر وأولياء الله ، يالها من عروس محظوظة ، كتب لها أن تترك جمع الجلة ، وتراب الحارة الى بلاط الشقة والوابور الجاز ، وكتب لها أن تستبدل عيشة الهباب حول الكانون بروائح مصر ، وغندرة الزوجات فى مصر ، وغدا تستبدل بهذا القبو المظلم شقه ذات

بلكونة تطل منها ، وتقف فيهـا ـــ دون أن تقع ـــ وتشـــترى الخضار .. اين أنا من منافسى الحـلاق الذى كل زبائنه من الأفندية !!

سلمت على العروس وهى لاهية عنى بهذا الحذاء الذى يأبى أن يحتوى قدمها التى تعودت على الحفاء ، نظرت اليها فاذا بى أمام دمية صغيرة تعصف بها أيدى خشنة لنسوة تكالبن عليها لكى يعدوها على عجل لارسالها الى مصر ، وهى لا تقول شيئا ، ولا تفعل شيئا ، وخرجت ، دون أن أقول لها شيئا ، ودون أن تعرف هى ما بى من حسرة الفراق ، ومع هذا لم انهزم ، وظللت أحبها ، وأصرخ فى ليلى العامرية ، وأنادى على حبيبة الفؤاد ، وأكتب الشعر ..

ومضى بى العهد وجئت أنا الى مصر أم الدنيا ، واللى بنى مصر كان فى الأصل حلوانى ، وسكنت فى الشقة ذات البلكونة ، وأكلت المدمس ، بل وسمحت لنفسى ذات يوم وأكلت الكفتة والكباب ..

وجرفتنى الأيام ، أرتع فى شوارع أم الدنيا ، أسـتذكر درسا وأترك كتبا ، اشترك فى كل المناقشات ، والمظاهرات ، وأقول كل ماعندى من كلمات سواء لها معنى أم هى مجرد كلمات أكورها فى فمى وأقذف بها الآخرين ، صانعا من نفسى ثائرا ، عربيدا واعيا أفهمها وهى طائرة أو قبل أن تطير ، واضعا اشارة الفتى المدردح

الذى لا تغيب عنه واردة ولا شاردة ، ارسم على الهواء بالدوكو، وأطحن الزلط بكفى ، وأغنى مع رواد السينما بعد خروجهم من حفلة العرض المستمر فى سينما كوزمو ، لا حب ، لا شفقة ، الجنس مباح ، من مقهى استرا ، أو من على الطريق تتلقف احداهن ، سوف تحكى لنا قصة حبها من ابن البيه الذى ما أن سلمت له نفسها حتى غدر بها ، وقذف بجسدها الجريح الى الشارع ، وها نحن نلتهم ، ما قذف به ابن البيه فى مقابل بضعة قروش ، لا حب هناك ، أما هذا فمباح ، أنام فى بحر من العرق ، سابحا فى أحلامى ، التى تحملنى الى مكتب البيه المدير فى ادارة صناديق النذور واصحو لأجد شلة الأمس غادرونى وتركوا لى الجسد الذى جرحه ابن البيه وهو يطالبنى بالحساب ، وحجرتى فـوق السطوح تحتاج الى تطهير وتنظيف ..

وتعوى الأيام كذئب جائع لا يشبع ، يأكل أعمارنا فى نهم لا يرحـم ، واذا بى أقتـرب من الكهولـة ، أمشى فى شوارع مزدحمة محشـورة ، خائفا من تهور سائق مخمـور ، متوسلا الى آخـر لكى يوصـلنى الى البيت ، أحمـل هم الولد فى امتحاناته ، ومشكلة البنت مع الخيـاط ، أفكر فى أول الشهر أقضى أمسياتى نكدا ساخطا متبرما ، واذا ذهبت الى سريرى ظللت أتقلب فيه كأنه قطعة من جهنم ، اتعذب من النوم ومن الاحلام ومن خوف اليقظة ٠

أتحسر على الأيام الخوالى ، وأفكر فى تراب القرية وفى موعد الترقية الى الدرجة الثانية !!

وبعد كل هذا العمر رأيتها ، وأمس ، وعلى محطة الأتوبيس القريب من منزلى ، رأيت وجيهة ، عجفاء ، شمطاء ، شرسة الطباع ، سليطة اللسان وهى تسأل الناس شراء علبة كبريت ، تغوص وسط المنتظرين على المحطة ، فى ضراوة تسأل فتاة أن تشترى أو تعطيها ، تدير لها الفتاة ظهرها ، تبصق وجيهة فى وحشية على الأرض لاعنة كل الناس ، وأختفى أنا داخل نفسى ، أتكور وأتكوم ، تتساقط أيامى لحما نتنا أتقيأه فى حزن ، يركلها أحد الباعة ، تبصق فى وجهه بسباب قذر ، يهرب البائع من أمامها ، تتشبث هى بيد رجل يرتدى جلبابا وعقالا ، ينهرها الرجل فى تقزز ، ترتمى على قدمه فى توسل ذليل ، يركلها الرجل بقدمه ، تتبعثر علب الكبريت ، الكلب الأجرب فى قريتنا يأكل ، يعطيه غلام قطعة خبز ..

أتحسس طريقى الى فراشى ، شربت كوبا من اللبن الممزوج بسم الفـار ، .. والآن أنا أكتب لكم من مستشفى لا أدرى ما اســمه ، اتمنى طبقـا من مدمس الخبيز ، وقطعة من جبن الحصير ، ورغيفا من طين قريتى ..

٤/٢/١٩٧٥ (مجلة الهلال) .

* ما وجدناه منقوشا فوق التابوت :

* ترتعش شفتياى وأنا أسمع صوتك ، تدفعنى الرغبة ، تلهبنى .. تفزعنى ، لكن النبأ الآتى من المذياع ، جعل الحب ضياع، يقتل الانسان ، يدفع به من حالق ، يصوب الى قلبه البنادق، .. أتذكر شجر الأرز المحروق ، والقمر المخنوق ، والعبد المعتوق .. أصرخ .. لكن الحلم عنيد ، يجثم فوق الصدر، يجعله ينزف دما ، وتأتى كلاب الصيد لتلعق الدماء .

* قال شاهد عيان :

* ان الرجل كان يجرى عندما سقط فوق جثة رجل آخر ، وتدحرج عدة مرات ثم رفع يده اليمنى فى توتر ، كان يود أن يقول شيئا ما ، ولكن اليد سقطت فجأة ، وسكنت فوق

الأسفلت الأسود ، .. عند ذلك تقدمنا حتى حاذينا رأسه ، رفع أحدنا وجهه لنراه ، .. لم يكن هو ما نقصـد ، كان بوجه الآخـر جـرح غائر من زمن الصـبية ، وكان فى جبهته ندبة ، وعلى أرنبه أنفه سلسلة واضحة من الأوعية الدموية ، وكان قويا وعنيفا .. وكنا نقصـد قتله ـ ولم يكن ذلك الرجل المسجى .

*** بيان اذاعى يتردد عبر الأسلاك :**

* .. وأن الشوارع آمنة ، نائمة ، قانطـة ، خائفة . وعلى العابرين أن يأمنوا على أنفسهم ، وأن يقتحموا الشوارع دون خوف ، وان خافوا وجب لزوم الدور ، وهذا أفضل ، فلا يعلم الخبر اليقين الا علام الغيوب ، فقد أبحنا لأنفسنا أن نجيب على السامعين ، ونحن لم نتيقن بعـد من بعض الأمور ، لكن القدر يفور ، والزبد يعلو ولابد من كلام لنقول ، ليظل المذياع يدور ، وسوف نعود لاذاعة ما قلناه عدة مرات ، حتى لا يفوتكم الاستماع أليه .

*** حكاية لم تتمها جدتى ، حيث كانت تقول :**

* .. ورقد الرجل الطيب بينما جلست الدبة العزيز تحرسه فاذا بذبابه ملعونه راحت تهاجم وجـه الرجـل الطيب ،

تدفعها الدبة العزيزة بيدها ولكن سرعان ما تأتى وتعيد الهجوم ، الدبة العزيزة تحب الرجل الطيب ، والرجل الطيب يحب الدبة العزيزة ، وكلاهما يحب الآخر ويعطف عليه ويحمل له الود والاخلاص والحب . وهذه الذبابة الملعونة تود أن تمتص دم الرجل الطيب النائم فى وداعة تحت حراسة دبته العزيزة ، وهى ذبابة لحوح تطاردها الدبة العزيزة بيدها ، ولكنها ما تبتعد حتى تعود مرة أخرى وقررت الدبة العزيزة أن تقتلها — أخيرا ، تركتها حتى عادت مرة أخرى وهبطت فى سلام على الخد الأيسر للرجل الطيب ، ومشت متلصصة حتى قاربت هضبة التل (المنحدر نحو العين) وتلفتت حولها حتى ما أن تيقنت من خلو المكان ثم هبطت مسرعة نحو غور قريب من أسلاك رموش العين النائمة . واذا بالدبة العزيزة تأتى بحجر صلد ، حملته فوق طاقتها بكلتا يديها ، ورفعته الى ما فوق رأسها ، ثم هوت به على الذبابة فى غيظ مكتوم أطلقته مع سقوط الحجر ..

* وبقى السؤال عن تكملة بقية حكاية جدتى .. هل ماتت الذبابة ؟ .. ورحنا نحن العلماء وفقهاء الأدب واللغة وعلوم الأساطير نبحث فى مثابرة عن اجابة السؤال ، لعلنا نجدها فى نقش على حجر مدفون فى الرمال ، أو فى بردية منسية

فى متحف الآثار ، أو فى مخطوط مخلوط فى دار الكتب ، ورصدت الأموال ، وانتظمت لجان البحث ، واستقر الأمر فى النهاية على ارسال البعثات تجوب فى الأمصار ، باحثة مدققة ، لعلها تجد بقية الحكاية فى مكتبة مغمورة ، أو فى ناحية مهجورة ، بالاضافة لأبحاث الاجلاء من العلماء الذين راحوا ينقبون فى اصرار المخطوطات المسروقة المعروضة فى مكتبات البلدان المتقدمة ..

*** مسودات بعض الكتاب :**

يسألنى الرجل عن الأنباء ، تسألنى عيناه .. أصمت ، ألهو ببعض الأشياء ، انظر فى المرآة ، اسمع نباح كلب الجارة ، أشعر بالجسارة .. أصرخ فى الرجل : لماذا تسأل .. الكل هباء .. هكذا جاءنى فى الأنباء ، لكن الرجل صبور لا ييأس ، لا يقنط .. لا يثور ، يعيد مرة أخرى السؤال ، انظر فى جهاز الأنباء الذى لا يكف عن الدق ، حروف .. كلمات ، تتشابك تصنع جملا ، هذه هى الأنباء رجل مات ، لا .. بل مئات ، قتل ، يقتل ، اقتتال ، استقلال ، استغلال ، لا يوجد على الأرض محال ، لكن الشاعر فى المقهى يشعر بالمهانة ، ينوى كتابة مقال ، سوف يطرح من خلاله سؤال ، ولكن الرغبة فى الشراب تعوقه عن الكتابة ، فلابد للقريحة أن تنجلى ، وللدماغ أن يتسلطن حتى تفور فى

العروق الدماء ، وتلهمه الصهباء كلمات سباب جديدة تسطع فى السماء ..

ولأن الأموال تعثرت فى الطريق ، ولا شىء يبل الريق ، فانه اليوم سيكتفى بالجلوس ، والتحـديق ، ناظرا ــ من منطلق جديد ــ الى الصبايا الحسان ، الغاديات الرائحات على الطريق، فى محاولة منه ليعيد للأمور تنظيرها الدقيق ..

* برقية :

جاء فى الأنباء ، على وجه السرعة ، أن عوضين عبد العال ــ وهو فلاح من قرية (أم خنان) ــ قد قتل زوجته ، وأن الأنباء تفيد بأن التحريات العديدة التى قام بها العمدة قبيل حضــور الشرطة .. أشارت الى سبب الجريمة ، وأن الولد الذى يصنع بشعر رأسه كما تصنع النساء قد شوهد وهو يجرى ملتاعا ناحية الجرن الجنوبى ، وجاء فى الأنباء ــ أيضا ــ أن الشرطة بتحرياتها الدقيقة قد أثبتت هذه الحقيقة ، رغم أن عوضين عبد العال لم يتكلم ، حتى بعد سؤاله ــ برفق ــ بواسطة أجهزة الأمن لا يريد أن يتكلم .

* رسالة وردت تعقيبا على البرقية ولم تنشرها الجرائد :

كيف تزيفون الحق وأنتم أهله، وكيف تقولون مالا تعلمون، وكيف تعلمون ولا تكتبون ، لقد زهق الحق ، ومات .. ، وانعدم

البـاطل ، وضربت الاجران ، وكفت الطـواحين ، واكفهر لون العيد ، وأتى العمدة دار عوضين وفعل بالمرأة الفحشاء ، •• ورغم أن العيون راقبت حسن امرأة عوضين ، وأن الأذن سمعت كلمات الغزل فى جمال امرأة عوضين ، وانطلقت الألسن تتحدث عن رسل موفدة بالهدايا الى دار امرأة عوضين ، •• الا أن عقول القرية لم تكن تتصور أن الاتهام سينصب على هذا الفتى الغر الذى يتمايل كامرأة حبلى ، تاركة هذا التيس الذى يكثر من أكل الثـريد ، ويتلذذ من دوام هرش ذقنه ، ويتبـاهى بالسلطان : ولم تكن مسألة قتل عوضين لامرأته أمرا مشكوكا فيه ، ولا علاف عليه ، ولم يتراهن القوم على حدوثه بل على توقيت وقوعه ، ولكن الأمر الذى قلب الرهان ما أذعتموه ، وما نشرتموه عن اتهـام الولد المسكين بجريمة لم يرتكبها •• حتى أنتم أيضا ؟!

*** حدوتة •• ملتوتة ••**

كان يا ما كان ، فتاة فى عمر زهور القرنفل ، تسير — فى غابر الزمان — على كوبرى قصر النيل ، قابلها الشاطر حسن ، وكان جميلا جمالا رائعا •• فوقعت الفتاة التى فى عمر زهور القرنفل فى هوى الشاطر حسن ، وتعاهدا على الحب وعلى اللقاء لكى ينمو هذا الحب ••

فى حديقة الأندلس ، فى القناطر الخيرية ، فى (بوتيك) لشراء هديه عيد الميلاد •• وتزوجا ••

ولكن الحياة قاسية ، هكذا يقولون فى هذا الزمن ، وأيضاً فى الأزمنة العتيقة •• وهـذا بالطبع مذكور فى برديات كانت موضوعة بجانب مقبرة الملك (حور رع سب) ••

ولأن الحياة صعبة ، والعملة صعبة ، فقد ركبا الزوجان الصعب ، واشتغل الشاطر حسن شاطرا وساعدته زوجته •• لهذا كثرت العربات التى تحمل أرقام الجمارك والتى تقف دوما أمام بيتهما فى انتظار خروج الشاطر حسن !!

*** مهنة جمع القمامة •• كما جاء وصفها فى كتب التاريخ ••**

يقولون — وكان ذلك فى الزمن الغابر — أن القمامة لم تكن موجودة لأن كل امرأة كانت تحافظ على بيتها ، وبالتالى — لم تكن هناك قمامة ولا رجل يدعى — وهذا بهتان بالطبع — انه يجمع القمامة ، ولكن فى أزمنة خاصة — بعض الخبثاء — يقولون انها أزمنة ضعف الحكام ، ولكن — فى الحقيقة — هى أزمنة الاحتلال والاقتتال وما أشبه ، فى هذه الأزمنة ظهر رجل يمشى فى الشوارع يجمع القمامة التى بدت تظهر أمام البيوت ولهذا أطلق عليه المؤرخون (القمقمى) ••

•• وعندما مات (القمقمى) الأول — اكتشفت أسرته ثروة من العملة الصعبة ، ومن هنا شعرت أسرته بأهمية امتهان جمع القمامة واشتغلوا جميعا جامعى قمـامة ، وتكاثروا وتناسلوا ،

وتوارثوا المهنة ويقال — وهذا مشكوك فيه علميا — انهم كونوا الأسرة ٩٦ التى حكمت البلدان فى ذلك الأوان ..

*** أخيرا .. أقول لكم ..**

عندما فكرت فى جمع القمامة ، لم أكن مؤهلا لهذا العمل . ولهـذا لم أعثر على العملة الصـعبة ولا على أشياء ذات قيمة اشترى بها ما يملأ كأسى الفارغ ..

وتسألنى ابنتى ، وفى عيونها ، دعة واستكانه ، عن أشياء تسمع عنها فى المذياع ، ولا أقدر على الاجابة .. ولكنى اكتفى بالابتسام .. وأحيانا .. أردد — دون وعى — ضرب ، يضرب، مضروب ، مغلوب ، مرفوض ، اضراب ، اضطراب ، اليوم هباب، وغدا ربما نأكل — يا ابنتى — كباب .. كباب .. ، ناب ، أنياب، ذئاب .. ذباب ..

١٩٧٦/٢/١٠

كان كل أمله أن يحصل على وظيفة ، وظيفة ثابتة يحصل منها على راتب ثابت أول كل شهر ، ساعتها يتحتم زفافه الى عروس حلوة كان قلبه قد اختارها له من بين فتيات حارة السعدى ، وكان لا يمل من تكرار هذا الأمل ولا يزهد فيه ، سواء هرب هذا الأمل حتى بلغ مبلغ السراب أو اقترب اقتراب آذان العشاء، وكنا نحن رواد مقهى السعدى الذى يتربع على قمة الحارة ويطل بجانب واحد على شارع السعدى أيضا ، نجلس المساء كله وبعض الليل نستمع الى حلم على السعداوى لا نمل السؤال وهو لا يمل الشرح والتوضيح، وكيف أنه يقرأ كل الاعلانات التى تنشر فى الجرائد ، وكيف أنه يتقدم اليها كلها لم يفته منها واحدة ، انه يفشل دائما ولكنه لا ييأس أبدا ، واذا حاول أحدنا

أن يذكره بعمله فى عيادة الدكتور شريف ، فانه يمتعض ويغمغم ببعض الكلمات الأجنبية ، انه يرغب فى عمل ثابت فى الحكومة أو على الأقل فى احدى شركات القطاع العام ، هــذا هو أمله ، فالعمــل لــدى شريف ــ هكذا ينطق اســمه مجــردا دون اللقب العلمى وكأنهما أصدقاء ــ لا يقوم به الا مجرد تســلية ومضيعة للوقت ، ريثما يصله خطــاب التعيين المرتقب ، ونحن كل مساء نسأل وهو يجيب، أحيانا يضيف ــ هذا اذا كانت أمه الست عطيات قد وبخته بمــا فيه الكفاية ــ شارحا أنه وحــده الذى يقوم بكل العمل فى عيادة شريف ، انه يتولى المريض منذ أن يدخل حتى يخرج ، ولا يقوم شريف الا بكتابة (الروشتة) فى خط مرتبك ، بل انه يستطيع أن يكتبها اذا شاء ولكنه لا يفعل حتى يترك لشريف عملا يقوم به ، ويؤيد على السعداوى حديثه ببعض عبارات أجنبية ينطقها فى زهو ، والويل لمن يجرؤ على تكرارها محرفا لها ، فانه يصول ويجول شارحا معنى العبارة التى قالها ، وعلى السعداوى فوق هذا يفهم فى كل شىء ، فى الســيارات ، وشراء الفراخ من الجمعية ، ويدلك الى أحســن كهربائى ، ويحيطك علما بالخطوات الواجب اتباعها لاستخراج البطاقة العائلية أو بطاقة التموين ، ويقدم خدماته فى الأفراح والمآتم ، بل انه اذا غاب عن الحــارة أو عن المقهى ، راح الكل يسأل عنه فى الحاح ، ونفتقده جميعا ولكن ما يلبث حتى يهب

علينا من حيث لا ندرى ، يجلس ضانا بأسباب غيابه فى أول الأمر حتى يجف الريق من سؤاله ، فاذا هو يصف فى اسهاب كيف ساعد الحاج برعى الدغل فى استخراج رخصة سيارته النقل الجديدة ، هنا يبادره أحدنا بسؤال عن أتعابه ، يثور فى كبرياء ، قاذفا رواد المقهى بكلماته الأفرنجية ثم يجلس ساهما . ونرقبه بعض الوقت حتى ننشغل عنه بلعب الطاولة حتى اذا انتهينا لا نجده بجوارنا .

يحيرنا أمر هذا الشاب ، الذى يجيد الكتابة على الآلة الكاتبة واعطاء الحقن ، ويفهم فى كل الاجراءات الادارية ، بل انه قدم مشورات قانونية ، وأحيانا مالية لها قيمة أثبت الواقع نفعها . لماذا لا يستقيم فى العمل لدى الدكتور شريف ؟ ان الرجل يعطف عليه ، بل يتغاضى عن غيابه أياما طوالا دون سبب مفهوم.

وها هى عائشة ، التى يهواها قلبه ، تقف فى أول الحارة تنظر اليه وكأنها تقول له .. أفعل شيئا ..

وكانت فرحته لا حدود لها ، عندما جاء الينا والفرح يرقص على وجهه ، فى يده ورقة يرفعها كعلم انتصار ، انها خطاب التعيين فى الشركة العامة للأسمدة ، تركنا ما فى أيدينا من لهو وأحطنا به وقد غمرتنا فرحة حقيقية وهو يشرح كيف تقدم الى المسابقة وكيف نجح ، وها هو خطاب التعيين .

— ما هى الوظيفة يا على ؟

— مستشار

نعم ! مستشار مرة واحدة ، يا رجل قل شيئا آخر ، ولكنه ليلتها أصر على أنه سيعمل مستشارا للسيد رئيس مجلس الادارة، الذى أعجب به وبمعلوماته وثقافته ، فقرر تعيينه مستشـــارا ، وعندما أخذت الخطاب الذى يحمله والموجـه الى المستشـفى لاجراء الكشف الطبى لاحظنا أنه مرشـح لوظيفة (ساعى) ، وعندما واجهناه بهذا قال فى كبرياء .

— مجرد شكليات .

وأصر ليلتها أن عمله الحقيقى سيكون مستشـــارا لرئيس مجلس الادارة ، وراحت أكواب الشاى تدور وانقلبت القهوة كلها الى مرشدين وناصحين ، كيف يعبر على السعداوى الكشف الطبى بنجـاح ، بل وصل بنا الانبهـار والتحمس الى ضرورة الاهتمام بمظهر على السعداوى فى الغد ، وأسرع كل منا يقدم له ما لديه من ملابس جديدة على سبيل الاقتراض ، حتى اذا ما انتهى على من الكشف الطبى بنجاح أعاد الملابس الى أصحابها ، وبالفعل تم لنا ما أردناه وذهب على السعداوى فى ملابس لائقة بمستشار رئيس مجلس الادارة ..

وغابت عنا مداعبات على السعداوى ، وانشغلنا نحن بأمور

حياتنا العادية مدة من الزمن ، ولكن ها هو على قادم الينا فى ملابس جديدة ، وعلى وجهه ابتسامة واثقة ودعانا الى حضور حفل زفافه بعائشة ، لم يسأله أحدنا عن العمل الجديد ، كنا قد تخيلنا ما يمكن أن يحدث ، واستقر فى نفوسنا أن الصبر والمثابرة قد حققا لعلى ما أراد وانه استراح وهدأت نفسه ، وحضرنا حفل زفافه وكأنه حفل زفاف كل منا ، فقد توزعت فرحة على السعداوى بعروسه علينا جميعا ، فرحنا نغنى ونرقص ونقدم كل ما لدينا لكى يتم زفافه على أفضل صورة رغبنا فيها جميعا، حتى أمه عطيات الوشيحى — رقصت ليلتها ما شاء لها الفرح أن ترقص ..

ومضت أيامنا وليالينا كما تعودنا منها وكما عودتنا ، حتى مرض المعلم برعى صاحب عربات النقل ، وبحثنا عن على السعداوى ولكننا لم نجده ، وأصر برعى على أن يصحبه نفر قليل منا ، لنذهب معه الى المستشفى وهناك وجدنا عليا ، وانشغلنا بالمريض الذى توالى عليه الأطباء ، وراعنا فى أول الأمر العناية الفائقة التى قوبل بها مريض من حارة السعدى ، وأقام المعلم برعى حتى شفاه الله ، وعدنا به الى بيته فى الحارة ، ولكن ظل السؤال .. ماذا يفعل على فى المستشفى ؟ ولما كل هذه الاحترامات ، حتى وكأنه مدير المستشفى ؟! .. وقررنا أن نسأله عندما يأتى الى المقهى .

ومضت الأيام ، حتى ذات صباح انشق فجره عن عويل وصراخ ، واندفع سكان الحارة ليروا ما الخبر .. لقد مات على السعداوى ، دهمه ترام عندما كان يعبر الشارع فى طريقه الى المستشفى ، ولماذا ذهب الى المستشفى ؟ ، وتوالت الأحداث ، كما جمعنا فرحه جمعنا الحزن بوفاته ، وفى سرادق العزاء ، كانت أفواج المعزين تتوالى . وبرقيات ، وأناس لم نرهم معه ولم نراه معهم ، قلنا كان له العديد من المعارف ، والأصدقاء ، ولكن كيف انتشر الخبر بهذه السرعة ، وما علاقتنا نحن سكان حارة السعدى بكل هؤلاء ، وتتكاتف لكى نقابل كل من قدم للعزاء ، نقترض لكى نصنع لهم المزيد من القهوة ، أحضروا المزيد من المقاعد ، لم نكن نعلم أن على السعداوى له هـذه الشهرة ، بدأنا نتألم أكثر لفقده ، لم نقدره حق قدره ، وقررنا أن نكتتب لكى ننشر تعزية له فى احدى الجرائد ، ولم نذهب الى بيوتنا حتى تأكدنا من نشر الخبر فى الصباح .

وجاء الصباح ، ونحن نترقب الجريدة لكى نرى اسم مرحومنا العزيز فى ركن من صحيفة الوفيات ، ولكن ما هذا أن اسمه فى أول عمود من الصفحة ، بل يتوالى اسمه فى كل العمود ونصف العمود الثانى ، .. نقابة الأطباء ، المستشفى العام رئيس ومدير وأطباء المستشفى كل هؤلاء ! حكيمات المستشفى ، المساعدات وموظفى الادارة ، أين عزاء الشركة التى يعمل بها ،

ولماذا المستشفى ونقابة الأطباء وكل هذه الجمعيات والروابط .
يبدو أن الاسم اختلط علينا ، ولكن ها هو الاسم كاملا على
محمد حسين السعداوى الطبيب بالمستشفى ، نعم ! هل كان على
طبيبا ونحن لا نعلم ؟ ، وكيف ؟ ، ان اسمه مسبوق بلقب (دكتور)
وها هو عزاء الحارة ، العزاء الوحيد المكتوب بدون لقب دكتور،
هاتوا البرقيات التى وصلت اليه أمس . والبرقيات التى وصلت
اليوم ، هاتو جرائد اليوم ، ما معنى هذا ؟ كلها تصر على أنه كان
طبيبا بالمستشفى العام ، نحن لم نعرف عنه هذا ، هل نحن على
حق أم هؤلاء ، حارة السعدى هل تعرف أكثر مما تعرفه كل هذه
البرقيات التى جاءت على عنوانه فى نفس الحارة .. هل نحن
نعرف حقيقة على السعداوى أم لا نعرف .. نعرف ؟ .. أم
لا نعرف ؟ .. لم تعد مقهى السعدى كما كانت .. هجرناها
جميعا .. فنحن لا نعرف ما اذا كانت مقهى أم شيئا آخر ..
فنحن لم نعد نعرف شيئا .

٢٥/١/١٩٧٧ (مجلة اكتوبر) .

رسمت صورتك على القمر

القمر يبدو واضحا فى القرية ، قمر المدينة خائف ، قمر القرية أكبر حجما وأكثر جرأة من قمر المدينة ، أنا أحب قمر القرية ، يقولون انهما قمر واحد ، ولكنى أراهما قمرين ، أحدهما يظهر واضحا فى كبد السماء ، صريحا فى استدارته ، شجاعا فى اختفائه ، والآخر لا أراه الا محبوسا محصورا فى ورق الأجندة ، يبدو مريضا ، ضعيفا مصعوقا بين الأوراق ، جبانا يخشى الأنوار ، خجولا لا تدرى ساعة رضائه من ساعة غضبه ، لهذا أهرب انى قمر القرية ، انظر اليه ، أبحلق فيه ، أتطلع الى مسكنه الصافى فى السماء وأسأله عن أشياء تجول فى خاطرى ، هل أقول لكم الصدق ، ولكن لا تحاولوا خداعى ، اذا كانت كلماتى صادقة قولوا ذلك صراحة فى وجهى ، واذا كانت غير ذلك ، قولوها

أيضا ، لا داعي للهمس الذى أحس به خلف آذنى ، مجنون ، نعم أنا مجنون ، يا ساتر .. مجنون ، سمعتها ألف مرة همسا محموما يطن حول رأسى، أتلفت، أدور حول نفسى ، لا أجد الا الابتسامة ابتسامة لزجه ، رطبة ، لا معنى لها ، اشفاق ، حنان ، لا أدرى، لماذا أظلم الناس ؟ طيبون هؤلاء الناس ، صامدون ، يتنفسون، يعملون، أرهقتهم مشاكلهم، ولكنهم ينسون الحزن خلال الفرجة على أحزان الآخرين ، كل منهم يحاول أن يتفرج على الآخر ، يحزن من أجله ، يحزن عليه ، يحزن له ، يسخر منه ، ولكنه فى كل الحالات يتفرج عليه ، ولهذا أحذركم . فأنا لا يهمنى ماتقولون ، ولايعنينى وصفكم لى بالجنون، فالكلمات هى احدى غرائب الطبيعة ، تتغير وتتلون مثل الحرباء ، ماذا لو قلتم : شجاع بطل ، مغوار ، كريم ، فارس ، .. الى آخر هذه الكلمات ، ماذا يعنينى أنا ، لا شىء ، سأكون صريحا معكم الى النهاية ، وأكرر، لا شىء ، فقط .. أحذركم من نظراتكم ، انها مثل أقمار القرى. بل مثل قمر قريتى بالتحديد ، صريحة ، واضحة لا يمكن تغييرها ولا يمكن تزييفها ، فاذا شاهدتكم تبتسمون الابتسامة التى أعنيها فاننى سوف أتخذ نحوكم عدة اجراءات منها ما اتخذته مع زوجتى ، وانتم طبعا تعلمون ، ماذا حدث لزوجتى ؟ ومنها ما فعلته مع السيد المحترم الرجل الذى تولى العناية بأمرى فكان يتولى عنى الأشياء العادية حتى يدعنى أتفرغ تماما للتفكير

فى أحزانى المختلفة ، وهذا الرجل ، بالطبع ، تعرفون ماذا حدث له ، وأنا فى أول الأمر — أشعر بالحزن ، ثم أشعر بالكراهية تتمدد فى عقلى ثم تصل الى قلبى ، تجعل الدماء تفور ، تغلى ، وأنفاسى تتلاحق ، يهتز كيانى كله ، ويرتفع ذراعى فى حركة أجفل منها ، وينتابنى الاحساس بالظلم ، ويدفع قلبى المزيد من الدماء الفاسدة الممزوجة ببعض الأفكار الخاصة بالاضطهاد وتكتمل حركة ذراعى الأيمن ، وتزداد حدة التوتر فى ذراعى الأيسر ، ويغشانى ظلام دامس ، واحساس بالقهر ، فاضغط على الأشياء اللينة التى ألمسها ، حتى تتيبس ، بعدها تتراخى عضلات الذراع الأيمن ، ويرتعش الذراع الأيسر ، ويطلق فمى بركانا من الأنفاس الحارة ، وتزداد فتحتى أنفى تتلقف المزيد من الهواء البارد ، ينفتح على أثرها عقلى تاركا كمية من الدماء الفاسدة تهرب منه ، وتزول الأفكار الخاصة ، وأتجاهلها ، أشعر بالهدوء وأبتسم ، أغنى وأنا أستمع الى تراتيل الملائكة وهم ينشدون نشيد الحب ، وأجرى حتى أصل الى حافة الماء ، أغمس قدماى ، ينصعق العرق الأسفل فى بطن ذراعى الأيمن من برودة الماء ، ابتسم وأنا أغمس فى الماء جسدى كله ، أرتعش فى لذة ، وفقاقيع الماء من حولى تدوى ، يرتفع الماء من حولى أهبط بذراعى الأيسر فى الماء ، تسرع نبضات قلبى ، ارى القمر مكتملا ، وفى داخله سر جمال النهر ، أسقط ذراعى الأيمن ، يزول الطنين من رأسى ،

وتصفو نفس ، ويزداد وضوح صوت التراتيل ، ويتسع قرص القمر ، وتزداد الصورة في وسطه جمالا ، أبتسم وأنا أغوص برأسي داخل الماء البارد ، أحبس أنفاسي وأنا أمنع الضحك المجلجل الذي يود أن ينطلق من فمي ، فالقمر اختفى في الماء ، أرفع رأسي والماء يتساقط من شعري فيظهر القمر ، وتبتسم الصورة ، صورة المرأة التي تزوجتها (سر جمال النهر) أنظر اليها، لم أعد أسمع : مجنون ، أشعر بالراحة يداخلني الاحساس بالرثاء من أجل البشر ، وأود أن أقول لهم على الحقيقة ، فان صدقوني كان ذلك خيرا لهم، وان كذبوني فعلت بهم ما فعلته في زوجتي والرجل الذي كان يتولى شئوني الخاصة وأنتم تعلمون ماذا فعلت في زوجتي وذلك الرجل مع العلم بأن الحب موجود في قلبي ، وفي عقلي ، ولكني حبسته ، حفرته داخل قلبي حتى لا يفر ، فزوجتي سر جمال النهر هي الحب كله ، هي رمز الاخلاص والحياة قصاص ، والكلمات احدى عجائب الدنيا ، فلا خير أن تقولوا الكلمة التي لا ترغبون في نطقها ، ولكن أحذركم من الابتسامة التي تعني هذه الكلمة ، حتى لا أفعل معكم ، وأنتم تعلمون ماذا فعلت ، فقد حبست زوجتي الجميلة في داخل لحظة واحدة أبقيتها أسيرة الصورة التي أحببتها ، لأني خشيت عليها من أن تجرفها تيار الأيام ، وتتبدل بها الأحوال ، وتفقد هذا الوضوح الذي فقده القمر عندما سكن المدينة ، فحبسه أهلها في

أوراق الأجندة ، وهكذا فعلت بزوجتى ، عندما رأيتها تسكن
عالم الرجل الآخر الذى كان يتولى فى مهارة ، شئونى الخاصة
حتى يدعنى متفرغا للأحزان ، •• أخرج من الماء ، أتمدد تحت
الشمس ، أنام ، يأتى الليل ، يحضر القمر وفى داخله صورتى
الحبيبة ، سر جمال النهر ، أنظر اليها ، أمعن النظر ، هى أبدا
لن تتغير وستبقى كذلك أبدا ، واضحة وضوح القمر فى قريتى ،
بعد أن خنقتها هى والرجل الذى أراد أن يحتل مكانى فى قلبها ،
وبذلك أبقيتها فى الصورة الأفضل قبل أن تتحول الى الصورة
المزيفة ، لأننى أحبها أكثر ، فاذا قلتم : أنت قتلتها ، قلت لا ،
بل حولتها من زيف الى حقيقة ، لكى يظل قلبى يرنو اليها ، كما
ترنو عينى الى قمر القرية ، •• قلت لكم الحقيقة فى كلمات
صادقة ، ان صدقتم كلماتى فأنتم طيبون ، وان رفضتم تصديقها
فقولوا ذلك صراحة •• ولكن دون الابتسامة التى أعرفها ••
فقط أنا أحذركم ، فقط أحذر •• كم •• فقط أحذر •• ، فقط •

٥/٨/١٩٧٨ (مجلة آخر ساعة) .

الفهرس

	صفحة
لعبـــة الكومى	٣
ابو الروس	١١
الرغبة فى المعـــرفة	١٩
من تعـــاليم بوذا المبجل	٢٧
الخطأ الذى لم يرتكبه احـــد	٣٥
ثم مـــات	٤١
٦ اكتوبر والايام التـــالية	٤٩
الاميرة ذات الهمة	٥٧
ارجوكم لا تصوا آذانكم عن بكاء الطفل . . .	٦٧
وصف حادث تكرر حدوثه	٧٧
يســالونك عن الخـــوف	٨٧
الحق اقــول لكم	٩٥
قراءة جديدة لقصــة حب	١٠٣
اجمع لكم القمامة	١١١
على الســعداوى	١١٩
رسمت صورتك على القمر	١٢٧

كتب للمؤلف

١ ـ رواية (ثمار الشوك)	١٩٦٤
٢ ـ رواية (الجرار رقم ٣٥)	١٩٦٨
٣ ـ مسرحية (ما بعد الخوف)	١٩٦٨
٤ ـ رواية (المزامير)	١٩٧٢
٥ ـ اشياء حقيقية	١٩٧٥
٦ ـ العام الأول للميلاد	١٩٧٥
٧ ـ الفكر الاجتماعى فى الرواية المصرية	١٩٧٩

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٩/٤٧٤٦
ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٧٧٩ ٢